إدارة الصراعات

والأزمات الدولية

نظرة مقارنة لإدارة الصراع العربي

الإسرائيلي في مراحله المختلفة

بقلم

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

دكتوراه علوم سياسية

٢٠٠٠م

الفهرس

إهداء

إلى روح صديقي العزيز

الإداري الناجح والمكافح الدؤوب

طلعت محمد منتصر

طيب الله ثراه ورزقه فسيح جناته

د ٠ إسماعيل

مقدمة

أن دراسات الصراع الدولي والأزمات الدولية خصوصا ، والأزمات بصفة عامة ، عديدة ومتنوعة وتثير الكثيـــر من القضايا السياسية والاقتصادية ....

فالصراع يرتبط بعدة أمور مثل الحدود الجغرافية للصراع وعدد الأطراف المشاركة في الصراع وحجم المــوارد والإمكانيات التي تخصص للصراع ، ونوعية الأسلحة المستخدمة فـــي الصـــراع ، وخصائصـــها التدميريـــة ، والأهداف التي تحددها الدولة من وراء هذا الصراع ، وما إذا كانت شاملة أو محدودة ، كما أن الصراع عادة ما يتضمن العداء الكامل والخوف ، كما قد يتضمن الاختلاف المدرك للمصالح ، وربما يتضمن الرغبة في التفـــوق والسيطرة أو تحقيق نوع من الانتقام أو الثأر ، ولكنه لا يمتد بالضرورة أبعد من أن يكون اتجاه أو اتجاهات أو إدراكات تتضمن معارضة معلنة وفعلية وجهود مشتركة للتأثير على الآخرين ، وعادة ما يسبق التوترات بدايـــة الصراع ودائما يشمل الصراع على عدة توترات ، فالصراع أكثر من مجرد التنافس ، والصراع قد يكون عنيفـــاً أو غير عنيف من الناحية المادية للعنف ، وقد يكون شاملاً أو محدوداً ، فالصراع المعاصـــر صـــراع شـــمولي يتضمن كافة الجوانب من القيم والاقتصاد والسياسة والحكم والعلاقات الدولية والقتال ٠

ويلجأ كل طرف من الصراع إلى تقييم في كل فترة لأهداف ونوايا الطرف الآخر وبواسطة هذا التقييم المرحلـــي يمكن من عمل تنازلات لتجنب تصاعد الموقف ٠

والحرب دائما هي الوجه البارز للصراع فهي مرحلة مستقلة منه وهناك تعريف مالينوفيسكى للحرب على أنـــه "الصراع المسلح بين وحدتين سياستين مستقلتين باستخدام قوات عسكرية منظمة في متابعة سياسة قبليـــة أو قومية"[١] وعموما فإن الحرب هي الملجأ الأخير للدبلوماسية ، الحرب أذن هي الصورة الدرامية للصراع الدولي ، والتي تتزاوج صراحة أو ضمنا ، من خلال الحركة ، مع القضايا التي يهدف الصراع الدولي إلـــى حلهـــا أو تجنبها ٠

إذا فالصراع الدولي يشير إلى وجود موقف من المنافسة تكون الأطراف فيه على وعى بإمكانية عـــدم التوافـــق لمواضعها حيث يرغب كل طرف في احتلال موضع لا يتفق مع رغبات الأطراف الأخرى وعلى هذا فإن التعريف يحتوى على كلمة وعى أو إدراك ورغبات ٠

والصراع الدولي ظاهرة تعبر عن نفسها في شكل سلوك إيجابي يمكن تمييزه عن الخصام أو نزعـــات الغضـــب المتسببة من مضاعفات وقتية ، وذلك عن طريق استمرار الرغبات والأهداف المتضادة والمتناقضة [٢]، وهنـــاك صراعات قابلة للتحكم فيها وهناك أخرى غير قابلة للتحكم فيها ، أي أن هناك صراعات تكون تحـــت الســـيطرة المشتركة لأطراف الصراع ولا تصل إلى مرحلة الدمار الذي لا يمكن التحكم فيه والذي يمكن أن تُشـــبهه بـــأن

الخصوم في هذه الحالة يجدون أنفسهم في مواقف يصبحون فيها سجناء لسلسلة من الأحداث لا يمكن لأي منهم أن يتنبأ بها أو يتحكم فيها ويسيطر عليها، والذي لا يمكن التحكم فيه يعني ببساطة وجود صعوبات متوقعة فيما يتعلق بخطر هذا الصراع والخطر المترتب على تصاعده إلى حدود مدمرة وغير قابلة للتحكم فيها ، ويتألف أي صراع من ثلاثة عناصر : أطراف ووحدات الصراع وقضايا الصراع وأهدافه ومناهج حل الصراع ٠

من كل ما سبق يتضح أن للصراع أهمية خاصة في العلاقات الدولية ، وتبدو هذه الأهمية أكثر وأكثر مع إدارة الصراع ، ذلك لأن الصراع يتحدد وفقاً لأصل وجذور هذا الصراع ومجاله ومداه وأطرافه والمسائل التي يثيرها وأدوات واستراتيجيات معالجة الصراع ، فالقائم بإدارة الصراع هو المتحكم الرئيسي في هذا الصراع ولابد أن يفهم وضع دولته في العلاقات الدولية ٠

ويمكن القول بداية بأن إدارة الصراع الدولي عملية تتسم بالعلم والفن ، بمعنى أنها طريق ومنهج علمي له أصوله وقواعده التي بدأت تتبلور وأن القيام بها وممارستها تعتمد على إتقان مجموعة من المهارات والقدرات التي تحتاج إلى الابتكار والإبداع ٠

وسوف نستخدم هنا عدة مناهج في هذه الدراسة منها المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن ٠

وسوف نقسم الدراسة إلى أربعة فصول هي :-

الفصل الأول : ويشمل نظرية إدارة الصراع ، والفرق بين إدارة الصراعات والنزاعات والأزمات والحرب وغير ذلك ٠

الفصل الثاني : ويتحدث عن جذور وتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي في مراحله المختلفة ٠

الفصل الثالث : ويشمل نظرة مقارنة بين إدارة عبد الناصر للصراع العربي الإسرائيلي في عامي ٥٦،٦٧ ٠

الفصل الرابع : ويشمل إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي عام ١٩٧٣م وما تبع ذلك من مراحل تفاوضية٠

فإلى الدراسة .....

<u>هوامش المقدمة :</u>

١ ــ د٠اسماعيل صبري مقلد – العلاقات السياسية الدولية – مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧١ – صـ ٣٢٥ ، وأيضاً : د٠ عطية حسين الأفندي عطية ، مجلس الأمن وأزمة الشرق الأوسط ، القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٦، ص١٥،١٤

٢ــ أحمد رسلان – نظرية الصراع الدولي – رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة – ١٩٨١م – صـ ٨٧-٨٩



الفصل الأول

إدارة الصراع الدولي
وإدارة الأزمات

الفصل الأول

إدارة الصراع الدولي

****

من المعروف أن الصراع الدولي له مراحل متعددة ومستويات مختلفة ومتعددة ومنها :

_ الصراع المصيري : وهو أن يكون طرفي الصراع المتنازعين المتخاصمين على يقين بأن كل منهما يأمل في إزاحة الطرف الآخر من ساحة المعركة مُدمراً تماماً ، ويُحقق النصر الكامل ويفرض على خصمه الاستسلام الكامل بلا قيد أو شرط ، ويتضمن شعور الأفراد والشعوب بالقتال من أجل البقاء والقضاء على الأطراف المعادية ، وهو صراع طويل ويستمر لسنوات عديدة ، وقد يستمر طويلاً دون حسم أو انتهاء ٠

_ الصراع الجوهري : ويكون عميق الجذور في الهياكل الأساسية للأطراف المتنازعة ، ويتكرر مرات ومرات ، ويرتبط بمحاولة مصادره : هل هو صراع حول أقاليم معينة لها أهمية استراتيجية أو اقتصادية ، أو حول عوامل دينية او قومية أو لغوية أو عنصرية أو تراث حضاري ، أم هو حول اختلاف بين نظم وأشكال للحكم ؟ إنه لا يتطلب بالضرورة دمار الطرف الآخر ، بل هو صراع حول أنواع وأشكال معينة ٠

_ الصراع العرضي : ويسمى الصراع الثانوي ، ويعتمد على أن أحد الطرفين يحاول استغلال ظروف متاحة قد لا تحدث مرة أخرى مستقبلية ، وبالتالي فهو صراع وقتي ينتهي بزوال سبب حدوثه الذي غالباً ما يكون عارضاً ٠

ويختلف من موقف إلى آخر ، وأن الأزمة هي المرحلة الأخيرة التي يتفجر فيها الصراع ٠٠٠ وتمثل إدارة الصراع أو الأزمة جزءا أساسيا من نظرية الصراع :٠٠٠ لماذا ؟! ، لأن الإدارة الجيدة تمثل أساساً راسخا في عمليتي تسيير العمل اليومي أثناء الصراع والتحكم في خيوطه والعمل على حل مختلف جوانبه حتى لا يتفاقم الموقف ، فالإدارة هي التدخل في مسار الصراع في توقيت مناسب وفي تحديد أبعاده المختلفة وتحديد وتوقع آثاره الناجمة عنه ، وتشخيص أسبابه ، ودرجة تأثيره على مختلف الجوانب ٠٠٠

وينبع كل ذلك من أن إدارة الصراع هي الخط الفاصل بين : احتفاظ الصراع بحالة الهدوء الظاهري ، وبين تفجره في شكل أزمة تنتهي باندلاع الحرب بين طرفي الصراع " [١] .

التعريف بالصراع الدولي :

مصطلح الصراع عادة ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة من البشر بالاشتباك في نوع من المعارضة الواعية مع جماعة أخرى أو أكثر من جماعة ، على أساس أن الجماعات المناوئة تبدو أنها تسعى إلى أهداف لا

تقبلها الجماعة الأخرى ، فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوى بشأن موارد وسلطة ، أي أن الصراع CONFLICT ينطبق على التفاعل الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض ، فهو أكثر من التنافس ، الذي هو أبسط صور الصراع ، ومن صور الصراع المعقدة : الأزمة والتوتر والنزاع ٠

والصراع هو تنازع الإرادات الوطنية والقومية ، وهو ناتج عن الاختلافات والتناقضات بين أهداف الدول وإمكانياتها ، والصراع لا يتخذ شكل المواجهة المسلحة ، وإن كانت أشكاله ومظاهره تتعدد ، كأن يكون سياسياً أو اقتصاديا أو عالمياً أو تكنولوجياً ، والصراع تتعدد وسائله كأن تكون حصاراً أو تهديداً أو تحالفاً أو تحريضاً ، وتتعدد أسبابه كأن تكون سياسية أو اقتصادية أو استراتيجية أو اجتماعية ، وفى مجمل مظاهر الصراع لا تقع الحرب ، وإن كان الصراع يؤدى للحرب ، فالحرب إذن هي التصادم الفعلي بواسطة العنف المسلح حسما لتناقضات جذرية لم يعد يجدي معها استخدام الأساليب الأكثر أو الأقل تطرفاً ، ومن هنا فإن الحرب المسلحة تمثل نقطة النهاية في بعض الصراعات الدولية (٢) ٠

والصراع قد يكون عنيفاً أو غير عنيف من الناحية المادية للقوة ، وقد يكون صراعا شاملاً أو صراعاً محدوداً ، كما قد يكون قابلاً للتحكم فيه وللحل ، أو غير قابل للحل والتحكم فيه ، كما يتميز الصراع بالتوتر من حيث أن التوتر عادة ما يتضمن العداء الكامل والخوف المدرك للمصالح ، كما قد يتضمن الاختلاف البسيط بين المصالح ، وربما يتضمن الرغبة في التفوق والسيطرة أو تحقيق نوع من الانتقام أو الثأر ، فالتوترات تسبق بداية الصراع وتمثل الجزء الأساسي منه ، ولكن التوترات ليست هي الصراعات على الدوام ، ، كما أن التوترات ليست بالضرورة متناقضة مع التعاون ، ومع ذلك ، فإن أسباب التوتر قد تكون أقرب إلى أسباب الصراع ، فإذا ما كانت التوترات قوية بدرجة كافية فقد تكون هي نفسها سبباً يدفع إلى حدوث الصراع ٠

وهناك ثلاثة أسئلة تبرز عند تحليل أي صراع سياسي هي : هل يمكن لكلا الجانبين أن يتعايشا ؟ ، وهل سينتهي الصراع أم يمكن أن يتجدد ؟ ، وهل يمكن ألان يدار الصراع ويحفظ تحت قيود مدنية أم أنه سيكون بعيداً عن الضبط ويصبح ذلك الصراع هو المتحكم في مصائر المتورطين فيه ؟

وهناك نماذج ومستويات للصراع منها النزاع أو التوتر أو القتال والحرب ، والمناقشات والجدل ، والمباريات والأزمات ٠٠٠

فهناك النزاع ، والمقصود بالنزاع هو الخلافات التي تكون بين الدول وأفراد القانون الدولي من غير الدول أطراف فيها ، وهو أيضا الوضع الخطير الناشئ عن اصطدام وجهات النظر بين دولتين وتعارض مصالحهما بشكل تعذرت معالجته بالطرق الدبلوماسية وصار يهدد بلجوئهما أو أحدهما إلى القوة المسلحة في سبيل دعم مطالبها ، والصراع ينبعث أساساً من نزاع رئيسي قد يكون بسبب الإقليم أو الحدود الشرعية أو الأيدلوجية أو النفوذ وغير ذلك(٣) وليس من الضروري أن يصل النزاع لدرجة القتال أو الحرب ، بل من الممكن أن يكون النزاع دبلوماسياً أو سياسياً أو قضائياً أو حتى يكون هذا النزاع عسكرياً ، فالنزاع غالباً ما يكون أول مراحل الصراع ٠

ومن هنا فالحديث عن إدارة الأزمة أو النزاع أو الصراع يعتبر حديثاً محوره شيء واحد ، هو العمل على منع وقوع الحرب ، التي هي خاتمة مطاف أي أزمة ، وإدارة هذه الحرب في حالة وقوعها ٠ وهذه الإدارة للصراع تقودنا للتساؤل حول قدرة طرفي الصراع على الاستمرار في مرحلة الصراع وما بعدها ، والتساؤل حول انتهاء الصراع وعدم تجدده مرة أخرى أو احتمال تجدده في المستقبل ، وكذا التساؤل عما إذا كان الصراع يمكن إدارته بأساليب معينة والتحكم فيه في إطار مقبول ، أم أنه يتصاعد ويفلت من إطار السيطرة والتحكم فيه ، وهل يصبح الصراع في حد ذاته في موقف معقد ويصبح المشاركين فيه مجرد أدوات لا قوة لها ؟

كل هذه التساؤلات الحيوية توضح لنا أهمية الإدارة القوية لأي صراع ٠

كما أن معرفة نوعية الصراع هام جدا لمعرفة كيف تتم إدارته ، فنوعية هذا الصراع تدفع المشاركين فيه إلى استخدام كل ما لديهم في الصراع،ووضع الاستراتيجية المناسبة لإدارته

وكذلك فالأزمة هي حدث مفاجئ يهدد المصلحة القومية،وتتم مواجهته في ظروف ضيق الوقت وقلة الإمكانات،ويترتب على تفاقمه نتائج خطيرة ، ولذلك فعملية إدارة الصراع أو الأزمة هي عملية إدارة خاصة من شأنها إنتاج استجابة استراتيجية لمواقف الأزمات من خلال مجموعة من الإداريين المنتقين والمختارين مُسبقاً والمُدَربين تدريباً عالياً وخاصاً ، والذين يستخدمون مهاراتهم ، بالإضافة إلى إجراءات خاصة من أجل تقليل الخسائر إلى أدنى حد (٤)٠

فمثلاً ، الصراع بين الشرق والغرب هو صراع تصورات بقدر ما هو صراع مصالح مادية وحيوية ، بل ربما كانت التصورات والتصورات المضادة هي أكثر تسبباً في استمرار الصراع بين الشرق والغرب من تباين المصالح الإستراتيجية بينهما ، فالدول ، وخصوصاً الدول الكبرى هي أكثر عرضة من غيرها للتصارع والاختلاف انطلاقاً من تصورات وانطباعات وهمية وخيالية حول نوايا بعضها ، فالتصورات وليست الحقائق الموضوعية هي التي تتحكم في تصرفات وسلوكيات هذه الدول في صراعها الأبدي بين الشرق والغرب ، فإدارة الصراع في حقيقتها عملية حركية أساسها المواجهة ومحاولة الإمساك بالموقف من خلال إحدى المتغيرات الأساسية والدفع بالموقف بكل جزئياته نحو الهدف الذي يحدد مقدماً ، فإدارة الصراع عملية معقدة يقصد بها فن استخدام أدوات الحركة والتلاعب في متغيرات الموقف واستغلال مسالك الاتصال بقصد تحقيق فاعلية قصوى للأهداف المباشرة من القرار السياسي(٥)، وهذا بالطبع دون تجاهل أن الصراع بين الشرق والغرب هو صراع عسكر ونووي ، وأيضاً أيدلوجي في جوهره ، بالإضافة إلى أنه صراع وجود كوني يشمل جميع مجالات وجوانب الحياة المعاصرة التي نعيشها ٠

وبمعنى آخر فإن الحديث عن إدارة الصراع أو إدارة الحرب أو إدارة الأزمة الدولية ، إنما هو جزء من الحديث عن إدارة الصراع الدولي الذي تمثل الحرب جزءًا ظاهرًا منه ، ولم لا ؟ ، فالحرب هي الصراع المسلح بين وحدتين سياسيتين مستقلتين باستخدام قوات عسكرية منظمة في متابعة سياسية قبلية أو قومية ، وذلك من

منطلق أن الصراع ظاهرة معقدة قد تشمل الحرب والنزاع والعراك والتوتر والأزمة ، فهو يقوم على أسباب موضوعية على الاختلاف والتناقض في المصالح أو القيم بين الأطراف المتصارعة ، وبالتالي لا ينتهي الصراع إلا بالإدارة الجيدة والسليمة والعلمية له ، فموضوع إدارة الصراع أو الأزمة يُعد أحد أهم موضوعات علوم الإدارة الحديثة ، ونظراً لحداثة الموضوع فإنه يبدو للكثيرين تعبيراً غامضاً ، فلا يقتنعون به ٠

ففي نطاق السياسة الدولية ، أصبح تشابك العلاقات بين الدول وتعقد صور الصراع وتداخل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والأيدلوجية والعسكرية ، بالإضافة إلى زيادة الاعتماد المتبادل الذي أصبح أمراً واقعاً يفرض نفسه على صعيد الصراع الدولي ، ونتيجة لذلك ، لم يعد من السهل حل أسباب الصراع المعقدة ، واكتفت القوى الكبرى والصغرى بإدارة الصراع حتى تمر الأزمة وبما يحول دون تفاقمها ، وبذلك يمكن وصف الأزمة بأنها نقطة تحول في أحداث متعاقبة تصل إلى قمة الصراع الدرامي ، وتحتاج إلى ردود فعل سريعة ، حتى لا تشكل نتائجها تغييرا في المستقبل ، يعود بالضرر على المصالح القومية للدولة ، ولذلك فتظهر الأزمة من عناصرها : فهي حدث مفاجئ ، وتهدد المصلحة القومية ، وأن مواجهتها تتم في ظروف ضيق الوقت وقلة الإمكانات (٦) ٠

وعناصر إدارة أي صراع لا تعدو أن تكون المحددة لطبيعة وجوهر هذا الصراع ، وهي التي توضح شكل ومضمون هذه العملية الإدارية ، وهذه العناصر يمكن استعراضها فيما يلي (٧) :

ـ أنها عملية إدارية خاصة ، فهي ليست من الروتين الإداري المعتاد ، وليست ممارسة عادية للاختصاصات الوظيفية ، أو السلطات المخولة في الظروف العادية ، وإنما مجموعة من الإجراءات الاستثنائية ، والتي تتجاوز الاختصاص العادي ، أو الخط الوظيفي ، والتي توضع لها قواعد خاصة لممارستها ٠

ـ من شأنها إنتاج استجابات استراتيجية لمواقف الأزمات ، والاستجابات الاستراتيجية هي رد الفعل المؤسس على سياسة عليا للدولة ، والذي يكون من أهدافه مواجهة التهديد الماثل ، والذي يشكل خطورة على المصالح القومية ، فالعملية الإدارية الخاصة بالأزمات يجب أن تكون مُعدة مسبقاً لتغطي عددا كبيرا من الاحتمالات في فترات زمنية ممتدة ، ومن ثم فهي استجابات استراتيجية وليست تكتيكية أو خاصة باحتمال واحد في ظرف زمني محدد ٠

ـ أنها تدار بواسطة مجموعة من الإداريين المختارين ، وهم مجموعة إدارة الأزمة ، ويتم تدريبهم من خلال برامج تتعلق بالأزمات وظروفها وعناصرها وأنواعها وأبعادها ، ويستخدم برامج السيناريو التي تُحاكي الواقع ويجري التدريب عليها ٠

ـ أن المجموعة تستخدم المهارة والإجراءات الخاصة ٠

ـ من أجل تقليل الخسائر إلى الحد الأدنى، لأن الأزمة أو الصراع لو تركت وشأنها لأحدثت خسائر ضخمة لا يمكن تحملها أو تعويضها ٠

وسوف نتناول هنا الموضوعات الآتية :-

١- تعريف إدارة الصراع ٢- مبادئ إدارة الصراع

٣- نماذج إدارة الصراع ٤ - القائم بإدارة الصراع

٥- أساليب إدارة الصراع ٦- متطلبات نجاح إدارة الصراع

المبحث الأول

تعريف إدارة الصراع

اتفق معظم علماء التنظير في العلاقات الدولية بأن الصراع ظاهرة معقدة متشابكة ، فهو ليس إلا تعارضاً عميقاً في المصالح والأهداف والقيم بين أطراف الصراع ، والبحث في الصراع يقوم على " توجيه نسقى يفترض أن الحياة الاجتماعية كلها تتكون من تفاعل داخلي بين النظم الاجتماعية " (٨) .

ومن المعروف أيضا أن الصراع الدولي يرتبط بعدة أمور مثل : الحدود الجغرافية للصراع ، وعدد الأطراف المشاركة فيه ، والموارد والإمكانيات التي تخصص للصراع ، ونوعية الأسلحة المستخدمة في الصراع ، وخصائصها التدميرية ، والأهداف التي تحددها الدولة من وراء الصراع : هل هي أهداف تكتيكية أم أهداف استراتيجية ؟ .

فالصراع عموما يشير إلى موقف تكون الأطراف فيه على وعى بإمكانية عدم التوافق لموضعها ، حيث يرغب كل طرف في احتلال موضع لا يرضى ولا يتفق مع رغبات الطرف أو الأطراف الأخرى ، فالصراع أكثر من مجرد التنافس وقد يكون عنيفا أو غير عنيف من الناحية المادية وقد يكون شاملاً أو محدودًا (٩).

ونورد فيما يلي بعض التعريفات لإدارة الصراع بإيجاز :

• يرى جلين سنايدر أن "إدارة الصراع مُبناه على ممارسة التحكم المفصل بواسطة زعماء الحكام المتورطين في أزمة ما ، وذلك بهدف تقليل فرص انفجار هذه الأزمة ووصولها إلى حالة الحرب" وبمعنى آخر "أن كل دولة ترغب في إدارة الأزمة بالشكل الذي يؤدى إلى زيادة قيمتها إلى أقصى حد في النتيجة النهائية وحل القضية موضوع الصراع" (١٠).

• تنصرف إدارة الصراع إلى "تبنى برامج سياسية مقصودة ، تهدف إلى التحذير من الأفعال والنوايا المتعلقة بأعداء حقيقيين أو محتملين ، وذلك لردع هؤلاء الأعداء إذا فشل التوفيق أو التحكيم ، وحل مثل هذا الصراع خشيه أن يهدد أهدافا داخليه أو خارجية أخرى هامة" (١١)

ويعلن الجنرال "فوللـــر" أن الحرب أداة من أدوات السياسة ، وهى بالضرورة تحمل طابع هذه السياسة ، وعلينا أن نقيس كل الأمور بالمقياس الذي تستخدمه السياسة ، وليست إدارة الصراع مجرد سياسة أو حرب في خطوطهــا العريضة ، ولكنها سياسة تحمل السيف بدلا من القلم ، دون يمنعها ذلك في أن تفــكر في الحرب بناء على قوانينها الخاصة [١٢]، وهذا تعريف خاص بإدارة الحرب ٠

• ويقول يوهان جالتونج أن "إدارة النزاعات الدولية توصف بأنها دراسات محافظه ومتميزة بطبيعتها المنهاجية ، وبحكم التعريف للطرف الأقوى إذا كان محور تخفيف حده النزاع هو محور دراسات إدارة النزاع ، فالنتيجة ستكون ظهور فرع مهتم بالظروف التي تكفل المحافظة على القوة ، وتجميد الوضع القائم ، وبمعنى آخر إلهــاء الطــرف الأضعف لكي لا يحمل السلاح ضد الطرف الأقوى ، ويؤكد على قول شميتر إن مفهوم إدارة النزاع الدولي أصبحت تسيطر عليها أيدلوجية تعتقد أن النظام له قيمه تفوق قيمة التغيير ، وأن أهداف إدارة الصراع في الحقيقــة شــكل مصغر لأهداف المصالح الكبرى في النظام الدولي ، وتصبح إدارة الصراع الدولي بالتالي عاملا يدعم من الوضــع القائم للنظام الدولي ، لأنها تقدم لصانعي القرارات في الدول الكبرى المعلومات اللازمة لعمليات الضــبط والــتحكم والاندماج داخل النظام الدولي"[١٣] ، ويمكن إيجاز خصائص إدارة الصراع في أنها تفترض حالة تأزم وتجعل مــن مسألة إدراك الموقف منطلقاً أساسياً، وترى في كل أزمة ذاتية وخصوصية مستقلة متميزة ، فضلاً عن إلمام القائد بخصائص الموقف المرتبطة بالصراع ٠

• وتختلط ألفاظ إدارة الأزمة وإدارة الصراع وإدارة الحرب فيعرفها أمين هويدى فيقول[١٤] "إدارة الأزمة الغرض الرئيسي منها هو منع المواجهة المباشرة بين أطرافها باستخدام القوات المسلحة فإن لم يحدث هذا وبــدأ القتــال اعتبرت إدارة الأزمة فاشلة" ٠

تعريف إدارة الأزمة :

التعريف المُبسط لإدارة الأزمة هو أنها فن إدارة السيطرة ، أي أن إدارة الأزمة تعني محاولة تحقيق السيطرة على الأحداث وعدم السماح لها بالخروج من اليد ، فإبقاء الأحداث تحت السيطرة هو محور إدارة الأزمة ، كمــا يمكــن النظر إلى إدارة الأزمة على أنها علم وفن كل الصراعات ، أو أنها تعني إمكانية التعامل مع أية حالة غير اعتيادية تُهدد أهداف ونشاط محور الأزمة (١٥) ٠

وتتمثل أبعاد الأزمة التي يجب إدارتها فيما يلي (١٦) : مصدر الأزمة وأسبابها ، وهل هي مشكلات سابقة تطورت إلى حد الأزمة أم هي تهديد خارجي أم عوامل طبيعية أم موقف طارئ ، وكذلك ثقل الأزمة ، ويقاس بمدى تهديدها للمصالح الحيوية أو القيم الأساسية للدولة ، وكذا تعقد الأزمة ، ويقاس بمدى ما هو مُتــاح مــن خيــارات فــي مواجهتها ، وكثافة الأزمة ، ويقاس بمعدل الأحداث في فترة زمنية محددة ، فكلما تلاحقت الأحداث في فترة زمنية وجيزة كلما كانت الأزمة أكثر كثافة ، ويأتي المدى الزمني للأزمة في أبعاد أي أزمة، وهو الوقت الذي تســتغرقه الأزمة من قصيرة أو متوسطة أو طويلة ، ثم نطاق الأزمة ، وهو الإطار المكاني الذي تشمله الأزمة ٠

• وهناك عدة رؤى وتعريفات لإدارة الأزمة ، فيقول د٠أحمد يوسف أحمد[١٧] "عندما نتحدث عن إدارة الأزمة فإننا نقصد تحديد أنه كان يمكن إتباع أساليب أخرى لتفادى نتائج معينه ، وأنه كان ممكنا مثلا تفادى العنف لو أنه حدث كذا وكذا ، وبالتالي أتصور أن أهمية الحديث عن إدارة الأزمة أننا نبحث في الأساليب البديلة التي كان ممكنا أن تؤدى بنا إلى نتائج أفضل في هذه الأزمة" ، ويقول محمد المطوع "إدارة أي أزمة يبين الفرق بين الفردانيه والتفرد بالقرار وبين الإدارة الجماعية للأداء ، وقد أثبتت حرب الخليج ذلك"[١٨] ، ويقول عبد الخالق عبد الله "إدارة الأزمة تتطلب أساسا تحديد الأهداف : ما هو المطلوب تحقيقه ؟ وما الذي كان يمكن تحقيقه ؟ وما هو المعقول والمقبول في الأهداف ؟ وما هو غير المقبول وغير المعقول فيها ؟ ، وإن عدم تحديد الأهداف عامل مهم من عوامل الفشل في إدارة الأزمة "[١٩] ، ويقول برهان غليون " إدارة الأزمة هو فحص الاستراتيجيات المختلفة التي كانت متواجهة في الأزمة وبعدها ، والاستراتيجيات تنطوي على تعيين الأطراف الأساسية المتصارعة ، كما تعنى تحديد الأهداف بكل طرف واعداد الإدارة المناسبة لتحقيق هذه الأهداف" [٢٠] ، وإدارة الأزمة تعنى حديثاً ، أن تقوم فيها الدولتان العظمتان (وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي الجديد) باتخاذ إجراءات وخطوات للتحكم في مسار أي أزمة دولية للحيلولة دون اندلاع حرب كبرى (٢١) ، فإدارة الأزمة تعني ببساطة تنمية إجراءات رشيدة لمقابلة العداءات غير المتوقعة والبحث عن بدائل تقلل من التهديدات العدوانية وتُبعد قدر الإمكان اختيار اللجوء للحرب ، ، فإدارة الأزمة إذن تعتبر كطريق جديد لحل الصراعات الدولية ، لأنها تمثل الوعي من القوى المسيطرة على الأزمة بأن لها مصالح عامة مشتركة ، كما أن لها مصالح متصارعة ، ولذلك تُلفت كورال بيل الانتباه إلى استخدام الغموض في إدارة الأزمات ، كأسلوب هام ، وذلك من منطلق أن المفهوم الحالي لإدارة الأزمات قد أخفق بعض مؤيدوه في أن يقدموا تمييزاً واضحاً بين ملاحظاتهم وتعميماتهم ، بالنسبة لسلوك واضعي القرارات ، في مواقف الأزمات ، وبين البواعث الحقيقية والمبادئ التي تحكم أعمال الممثلين المعنيين ، على مسرح الصراعات والأزمات والنزاعات والتوترات والأحداث الدولية (٢٢) ٠

ويعرفها السيد عليوه بأنها تعني رفع كفاءة وقدرة نظام صنع القرارات سواء على المستوى الجماعي أو الفردي للتغلب على مقومات الآلية البيروقراطية الثقيلة في المنظمات الإدارية والتي قد تعجز عن مواجهة الأحداث والمتغيرات المتلاحقة والمفاجئة وإخراج المنظمة من حالة الترهل والاسترخاء التي هي عليها ، أما على مستوى السياسة الخارجية فإن إدارة الأزمة تعني تمرين في الفوز يكون هدفه دفع العدو إلى الخلف والحصول على تنازلات منه ، وينظر إلى إدارة الأزمة طبقا لهذا المفهوم بأنها تهدف إلى تحقيق أكبر قدر من التنازلات من قبل العدو أو تقديم أقل التنازلات من قبل الذات ،ولذلك ينظر لإدارة الأزمة في السياسة الدولية على أنها محاولة لموازنة المجابهات أو المنازعات بقصد المصالح المشتركة دون اللجوء للحرب (٢٣)٠

فيمكن تعميم تعريف إدارة الأزمات على مختلف أنواعها في كونه العمل على تجنب تحول النزاع إلى صراع شامل بتكلفة مقبولة ، لا تتضمن التضحية بمصلحة أو قيمة جوهرية ، ويقصد بالنزاع هنا : أي نزاع ينشأ على أي

مستوى من مستويات العلاقات الإنسانية أو الدولية ، فإدارة الأزمة هنا تطلق على محاولة وقف حدوث تحول جذري إلى الأسوأ في المسار الطبيعي للعلاقات التي تتعرض لها ٠

ولذلك يعرف وليامز إدارة الأزمات بأنها (٢٤) : سلسلة الإجراءات والقرارات الهادفة إلى السيطرة على الأزمة والحد من تفاقمها ، حتى لا ينفلت زمامها مؤدية بذلك إلى نشوب الحرب ، وبذلك تكون الإدارة الرشيدة للأزمة هي التي تضمن الحفاظ على المصالح الحيوية للدولة وحمايتها ، أي إنها محاولة للتحايل على الخصم والتأثير فيه مصحوبة في نفس الوقت بمحاولة أخرى للتحكم في تطور الأحداث وتجنب الحرب ، فالإدارة الناجحة للأزمة هي تلك القدرة البارعة على تحقيق التوازن الدقيق بين ممارسة الضغوط على الخصم بحرص ذكي أو ترضيته بثمن بخس أو باستخدام هاتين الوسيلتين معا ، كما يذهب الكاتبان السياسيان ج آي دارتي وفالنر جراف إلى تعريف إدارة الأزمة على أنها قدرة أحد أطراف نزاع ما على إقناع خصمه أو خصومه بصدق عزمه على تصعيد النزاع لحمله أو لحملهم على التراجع عن تصعيد الأزمة تجنباً لضبط النفس ومحاولة إيجاد مخرج منها يحفظ لهم جميعاً ماء وجوههم أو الوصول فيما بينهم إلى تسوية تنزع فتيل الأزمة بدون المساس بالمصالح الجوهرية لأيهم ٠

ويعرفها هافر بيتر بقوله (٢٥) " إنها احتواء الأزمة والتلطيف من حدتها بشكل يستبعد معه حدوث اشتباكات عسكرية على نطاق واسع " ٠

إدارة الأزمة والإدارة بالأزمات :

وهناك فرق بين إدارة الأزمة والإدارة بالأزمات Crisis Management & Management by Crisis فإدارة الأزمة تخص أزمة معينة والتحكم في مسارها واتجاهها ، أي أنها إدارة علمية رشيدة تقوم على البحث والمعرفة ، أما الإدارة بالأزمات فهي تقوم على أساس افتعال أزمة وهمية ، وتستخدم عادة من قبل بعض الدول والمنظمات لتنفيذ بعض استراتيجياتها في الهيمنة والسيطرة (٢٦) ، فالإدارة بالأزمات هو أسلوب يلجأ إليه طرف في علاقة ما إذا ما اعتقد أن له مصلحة في تغيير الوضع الراهن لهذه العلاقة ٠

ويتطلب الأمر لنجاح الإدارة بالأزمات إلى عدة شروط منها (٢٧) : وجود تفاوت كبير في ميزان القوى لصالح مدبر الأزمة ، مما يضطر المستهدف به إلى التسليم بمطالبه تجنباً لصراع يعرف الأخير نتيجته مسبقاً ، وفي حالة عدم وجود فارق جوهري بين قوة الطرفين٠ فإن على مدبر الأزمة أو مفتعلها أن يقنع الطرف المستهدف بها بقدرته على تكبيده خسائر فادحة في حالة عدم إذعانه ، وأنه لمن الخطورة بمكان أن يكتشف الأخير بأن الأول ليس جادا في تهديده أو ليست لديه القوة الكافية لتنفيذه ، حينئذ يقع مدبر الأزمة ضحية لها ، وكذلك يظل الهدف النهائي للإدارة بالأزمات هو عدم تصعيد الأزمة إلى الحد الذي يحولها إلى صراع سافر ، وهي الحالة التي يقدر فيها المستهدف بالأزمة أنه مطالب بالتضحية بمصلحة جوهرية أو أساسية من مصالحه ، وأيضا ، أن الإدارة بالأزمات لا تعني بالضرورة قدرة مدبر هذا الفعل على السيطرة على تطورات الأزمة ، إذ أن الأزمة قد تنحو في تطور متقدم إلى التمرد على هذه السيطرة والإفلات من تحت قبضته واكتساب قوة دفع ذاتية خاصة قد تعمل لغير صالح مدبرها

، فالأزمة تثور من الصراع ، والأزمة أصغر وأكثر قابلية للإدارة وأكثر وضوحاً في التعريف ، فضلاً عن أنها ظاهرة يمكن عزلها بدرجة أكبر من الصراع ، فالأزمة مجموعة من الأحداث التي تتطور بصورة متلاحقة وبالشكل الذي يضاعف من التأثيرات الاختلالية لبعض القوى التي تتفاعل داخل مجموعة الأنظمة الدولية الفرعية المنبثقة عنه وذلك على نحو غير طبيعي وبما يرفع من احتمال انفجار الموقف بأي درجة من درجات العنف ، ولذلك ، فإن كل الدراسات الخاصة بالأزمات يجب ألا تفترض أن تجنب الأزمة أو الحد من تصاعدها هو الهدف الذي يسعى إليه كل من أطرافها ، حيث تلجأ بعض الدول في سعيها لتحقيق مصالحها القومية إلى افتعال الأزمة أو التخطيط لها وتصعيدها .

فن إدارة الصراعات والنزعات الدولية :

كما يندرج مفهوم إدارة الأزمات الخارجية في هذا الإطار ، فلقد أصبحت تلك الإدارة أسلوبا في إدارة الصراعات الدولية ولها استراتيجيات محددة تقوم على مجموعة من الأصول والمبادئ والمهام ، كما أنها أصبحت فناً رفيعا يمارسه قادة الأمم ورجال الدولة بمزيد من المهارة والبراعة .

فإدارة الأزمة الخارجية تعني التلاعب بالعناصر المكونة لها والأطراف الداخلية منها ، أي ضرورة اتخاذ قرارات سريعة في مواجهة موقف طارئ تحت ثلاثة ضغوط حادة هي :

ضيق الوقت ، والتهديد باستخدام القوة والعنف ، وعدم توافر المعلومات الكافية للتوصل إلى حل أو تسوية ،

فإدارة الأزمة الخارجية يعني التلاعب بعناصر الموقف بما في ذلك التلويح باستخدام القوة بشكل يضمن المصالح القومية دون التوسط في صدام عسكري مباشر (٢٨)

• إدارة الصراع فيما يتصل بوضع المكانة داخل النظام الهرمي هو مظهر واحد فقط من الصراع الكلى ، حيث أن هناك صراع أفقي آخر يتمثل في صراع المواطنين للحصول على أفضل المراكز في المجتمع ، وقد ينقلب هذا الصراع إلى أن يصبح صراعاً ضد السلطة التي تذهب إلى اختيار إناس معينين لتلك المراكز ، وعموماً ، فإن إدارة الصراع الدولي تتأثر بمدى وجود صراع داخلي على السلطة ، ومدى الاستقرار السياسي ، ومدى قوة تركيز السلطة لدى القائم بإدارة هذا الصراع (٢٩) .

• ويشير علم وفن إدارة الصراعات الدولية إلى تكامل وتداول مجموعة من الأساليب والإدارات مثل التفاوض – الردع – دبلوماسية الإكراه – إدارة الأزمات – إنهاء الحرب – الانفراج والتطبيع ، بحيث تُستخدم كلها ، ولكن بدرجات مختلفة (٣٠)

• إدارة الأزمة أو الصراع الدولي تطور بالدرجة الأولى لمواجهة الأزمات التي تؤثر في الدول الداخلة في موازين القوة النووية ، وأن عملية إدارة الأزمات بين القوى النووية ليست مباراة حبية بين الأطراف، وإنما هي صراع شامل وعنيف يعتمد ويستند إلى الوعي بوجود مصلحة مشتركة في تجنب الدمار الشامل إلى جانب وجود مصالح

أخرى متعارضة نابعة من اختلاف النظم والعقائد والمطامع ، وأن الهدف الأساسي من وراء إدارة الأزمات والصراعات هو البحث عقلانيا عن وسائل يمكن بها إعداد بدائل تقلل من تهديد العدو وتزيد من تأكيد مطالبه بدون التورط في الحرب (٣١) ٠

ومن التعريفات السابقة :

يمكن القول بأن إدارة الصراع تعنى مواقف الصراع التي يتخذها طرف الصراع تجاه الآخر ، أو السياسات (الاستراتيجيات والتكتيكات) التي يتبناها طرف الصراع بخصوص أزمة معينة وذلك بهدف الحيلولة دون اندلاع الحرب وتحقيق مكاسب للطرفين ما كان يمكن تحقيقها لو اتخذت الأزمة أو الصراع شكلا عنيفا ٠

المبحث الثاني

مبادئ إدارة الصراع

هناك العديد من المبادئ التي لابد من معرفتها ودراستها حتى يمكن إدارة الصراعات الدولية إدارة سليمة ، وهذه المبادئ لابد من معرفتها ومراعاتها عند التصدي لإدارة أية أزمة دولية معينة ، ومن هذه المبادئ (٣٢) :

ـ محدودية الأهداف : لابد لكل طرف من الأطراف في أثناء إدارته لأزمة ما من إدراك أنه ليس بوسعه أو بوسع الأطراف الآخرين أن يُحقق أهدافه مرة واحدة ، ومع ذلك فإن هناك أهدافا لايجب التنازل عنها حتى لو تطلبت حمايتها الدخول في مواجهة مسلحة، مثل المصالح الجوهرية لأي طرف من الأطراف ، فإذا ما تحقق كل من الخصمين من ذلك ، وكان هدفهما المشترك هو تجنب الحرب ، فلسوف يسعى كل منهما إلى عقلنة مطالبه وعدم المغالاة فيها ، فبلورة هدف واضح ومحدد يساعد على إيجاد حل للأزمة وتسويتها ، وبالمقابل يؤدي الجري وراء تحقيق أهداف انتهازية إلى العمل على تصعيدها ٠

ـ الحرص على عدم إحراج الخصم : من الأصول المستقرة في إدارة الأزمات ، هو النظر إلى الخصم باعتباره شريكاً في إدارة الأزمة ، ذلك أن الأزمات المعاصرة لم يعد من المجدي حلها باللجوء إلى ما يعرف باسم (المباراة ذات الحصيلة الصفرية) ، بمعنى أن يحاول أحد أطرافها تحقيق الانتصار الكامل على حساب الخسارة الكاملة للطرف أو الأطراف الأخرى فيها ، وإنما أصبح من المسلم به اللجوء إلى ما يسمى بمباراة التنازلات ، وذلك لأن طرفي الأزمة قد أصبحا يجلسان في قارب واحد لا يطفو بأحدهما فقط ، من أجل هذا ، أصبح الأمر يتطلب من كل طرفي الأزمة أو أطرافها : أن يحرص على عدم إراقة ماء وجه الطرف الآخر في الأزمة ، وعلى ألا يتسبب في إحراجه ، إلى الحد الذي لا يجد الأخير أمامه من مخرج إلا اللجوء إلى العنف ، حفظا لماء وجهه ٠

ـ التصعيد التدريجي للردع أو الخيارات المرنة : فلابد من التمسك بمبدأ الإبقاء على كل الخيارات مفتوحة ، أي أنه من الأكثر ملاءمة أن نجرب خياراً بعد آخر ، فإن لم ينجح خياراً ما لجأنا إلى الخيار الأشد ٠٠

فالتدرج في تصعيد الردع يُفسح المجال أمام صانع القرار في تجربة بديل آخر وأقوى في حالة فشل البديل الذي اختاره ، ولاجدال في عدم جدوى اختيار بديل أضعف إذا ما فشل البديل الأقوى في تطويع إرادة الخصم أو تليين مواقفه ، كما أن استخدام أقوى كروت الضغط في بداية إدارة الصراع لا يدع أمام الذي يخسره إلا استخدام القوة تجنباً لخسارة لا يقبلها ولا يحتملها٠

ـ إتاحة الوقت الضروري للخصم للتدبر : فلابد من إتاحة حرية الحركة للخصم ، كأحد المحاور الأساسية في الدراسات السياسية المعاصرة ، فإهدار مبدأ حرية الحركة لا ينجم فقط عن اتخاذ إجراء ما ، قد يتسبب في قطع الطريق على اختيار بدائل أخرى ، وإنما قد يترتب على ضغط عامل الوقت ، الذي لا يسمح للخصم بالتدقيق في اختيار البديل المناسب ، سواء أكان ذلك نتيجة لضيق الوقت نفسه ، أم جاء ذلك بسبب الضغوط النفسية ، والتي يفرضها حرج الموقف ، مما يحد من قدرة الخصم على إدراك أكثر البدائل المطروحة أمامه ملاءمة ٠

ـ توسيع نطاق المشاورات : هذا المبدأ لا تقتصر فائدته على إدارة الأزمات فقط، بل على صياغة السياسة الخارجية بأسرها ، وذلك بما يتيحه من مجال واسع لعرض الآراء الرصينة والحلول الخلاقة للمشاكل ، هنالك يسهم تعدد المناظير في عدم ترك زاوية من زوايا المشكلة خارج مجال الرؤية ، ولا سبيلا من سُبل حلها دون أن يطرق ، ولا حسابا من حسابات تكلفة القرار دون مراجعة دقيقة ، فالمشاورات هامة جدا في إدارة الأزمة والصراع ٠

ـ إحكام قبضة القيادة السياسية على القرار : فإحكام القيادة السياسية على إدارة الأزمة بنفسها لا يدع سبيلا لأحد بدفع الأمور إلى أبعد أو بأسرع مما تعتبره ضروريا ٠

فسيطرة القيادة السياسية على إدارة الأزمة أو الصراع يجنب الجميع العواقب الوخيمة التي قد تترتب على أي تحرك عسكري ولضمان تسخير العمليات العسكرية لخدمة أهداف سياسية محددة بدقة وعدم تجاوز هذا الغرض ، واتساقا مع هذا المبدأ تقرر عدم استخدام (خطط الطوارئ) بطريقة آلية أثناء الأزمات ، وإنما مراجعتها قبل التطبيق وتعديلها على ضوء الظروف المصاحبة للأزمة٠

ـ توسيع قاعدة الدعم اللازم للقرار : فاعلية قرار الأزمة تتوقف إلى حد كبير على مدى ما يتمتع به من تأييد الحلفاء والأصدقاء له،وكذلك مدى توافر غطاء من الشرعية الدولية له ٠وإلى جانب الدعم الخارجي الذي ينبغي أن يتوافر لقرار الأزمة أو البديل الذي وقع عليه الاختيار ، فإنه يجب توفير أكبر قدر من الدعم الداخلي له ، إن لم يكن تحقيق إجماع قومي حوله ، وليس معنى ذلك أن يطرح البديل لاستفتاء شعبي ، إذ العكس هو الصحيح في حالة إدارة الأزمات ، والتي يجب أن تتخذ قراراتها بمعزل عن العلانية وتأثير جماعات الضغط المختلفة ، وإنما المقصود من ذلك هو عدم وجود تعارض بين البديل المقترح وبين القيم الجوهرية للمجتمع ٠

ـ تحصين قرار الأزمة ضد المؤثرات الداخلية : فسلامة قرار الأزمة يتوقف على القدرة على عزله عن المؤثرات الداخلية بقدر الإمكان ، وبناء حساباته على أسس موضوعية خالصة تتعلق بمواجهة الخطر الداهم الـذي يهـدد إحدى القيم الجوهرية للدولة ، أو ما يعرف بالمعطيات الذاتية للموقف ، أو من خلال منظور محدود لطبيعة هـذا الخطر .

ـ تعزيز نظام الاتصالات : تتطلب إدارة الصراع والأزمات تعاونا مشتركا بين طرفيها لوقف تـداعيات الموقـف ولوقف انفجار الأزمة الذي يشعل فتيل الحرب ، ولذلك فإن هناك ضرورة مسبقة لإبقاء قنوات الاتصـال بينهمـا مفتوحة ومتعددة بقدر الإمكان ، وفي مجال إدارة الأزمات تتعدد قنوات الاتصال لتشمل الميـادين التاليـة : بـين مصادر جمع المعلومات ورئاستها وبين الرئاسة ووحدة معالجة المعلومـات ، وبـين أعضـاء وحـدة معالجـة المعلومات لتفسيرها وتقويم البدائل ، وبين وحدة معالجة المعلومات ومجموعة القلب CORE GROUP المنوط بها اتخاذ القرار ، وبين متخذ القرار والدول الحليفة والصديقة للتشاور في أمر القرار ، وبين متخذ القرار والأجهزة التنفيذية المكلفة بتنفيذه ، وبين أطراف الأزمة تتم الاتصالات عن طريق سفاراتها ، وفي حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية بينهم تتم الاتصالات عن طريق المنظمات الدولية أو عن طريق طرف ثالث يحظى بثقتهم جميعا ، كما يمكن أن تكون الاتصالات بواسطة الإشارات ، والإشارة في الأزمات الدولية هي لغة التورية والتلمـيح بـالقول والفعل ، وهي كذلك العروض التي يتقدم بها أو التلميحات أو التهديدات التي يوجهها أحد أطـراف الأزمـة إلـى طرفها الآخر أو أطرافها الآخرين ، ولا تقتصر هذه الإشارات على المعاني الضمنية في التصريحات الرسـمية أو الرسائل المحررة أو الشفهية ، وإنما قد يتم التعبير عنها باتخاذ إجراءات معينة ، مثل القيام بمناورات عسكرية أو تحريك بعض وحدات الأسطول نحو مناطق معينة أو غيرها من الإجراءات التي تحمل إشارة معينة .

ـ المعلومات أو الإنذار المبكر: ويضيف البعض نظام المعلومات للإنذار المبكر كواحد مـن أهـم مبـادئ إدارة الصراع أو الأزمات (٣٣) ، وذلك من أجل تخفيض درجة المباغتة التي تنطوي عليها الأزمة ، وهو أشبه بنـزع الفتيل للقنبلة قبل انفجارها ، ويوفر هذا النظام قدرا من المعلومات الذي يساعد على التنبؤ بالأزمات قبل وقوعها ، ويقوم هذا النظام على ثلاثة عناصر هي : سجل الأزمات والتصور المستقبلي أي السيناريو للأزمـات الخارجيـة وسيناريو الأزمات الداخلية ، وهذا النظام نظام متطور للمعلومات مهمته التحذير والتنبؤ بحـدوث الأزمـة قبـل وقوعها ، ويقوم على التنسيق بين عدد من الأجهزة الرئيسية في مقدمتها رئاسة الدولـة والمخـابرات العامـة ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع والمخابرات الحربية ووزارة الداخلية ، الخ ، ويكون في كل جهة مكتب لمراقبة الأزمات تكون مهمته : إجراء قراءة دورية للمعلومات الواردة إليه من مناطق أو قطاعـات الأزمـات المحتملـة والطوارئ ، وتقديم مجموعة من المؤشرات التحذيرية حيث يتم تقويم الموقف الـدولي ويـتم فحـص واختيـار المعلومات الواردة من مناطق الأحداث والاتجاهات غير العادية ، وتوفير تقويم مبدئي للأزمة قبل وقوعها فعلياً ، وتقويم التهديد حيث يتم تحديد آثار ونتائج موقف الأزمة ، ويتضمن تقـديراً للخسـائر السياسـية والاقتصـادية

والعسكرية المحتملة ، أي أن الهدف الرئيسي من وراء نظام الإنذار المبكر للصراع أو الأزمات هو استبعاد أحد أركان الأزمة وهو عنصر المفاجأة ٠

فهذه المبادئ لإدارة الصراع أو الأزمة تقضي بالحفاظ على السيطرة المدنية العليا على الخيارات العسكرية من حيث الاختيار والتوقيت ، بل قد تمتد هذه السيطرة على المناورات التكتيكية والعمليات التي قد تؤدي إلى صدام غير مرغوب فيه مع قوات الخصم ، وكذلك اختلاق التوقعات التي تساعد على التأني في معدل العمليات العسكرية ، حيث يكون من الضروري الإبطاء المتعمد من قوة الدفع في التحركات العسكرية وذلك بغرض توفير وقت كاف لكلا الطرفين لتبادل الإشارات الدبلوماسية والاتصالات ولإعطاء كل طرف الوقت الكافي لتقدير الموقف واتخاذ القرار والاستجابة للاقتراحات ، وكذا التنسيق بين التحركات الدبلوماسية والعسكرية في إطار استراتيجية متكاملة تستهدف إنهاء الأزمة بدون حرب ، وتحديد التحركات العسكرية التي تشكل براهين واضحة على الحل المرغوب وتكون مناسبة للأهداف المحدودة من وراء تلك الأزمة ، وتحاشي التحركات العسكرية التي تعطي الخصم الانطباع بأنك على وشك اللجوء إلى حرب واسعة النطاق ، مما يجبره على القيام بتوجيه ضربة اجهاضية ضد الخصم ، ولابد من اختيار الخيارات الدبلوماسية والعسكرية التي تترك للخصم مخرجا من الأزمة بما لا يتضارب مع مصالحه الرئيسية ٠

المبحث الثالث

نموذج الصراع

إن عملية وضع نموذج للصراع الدولي عمليه ليست بالهينة ، ولابد من البحث في قضايا سياسية وأساسية لوضع نموذج الصراع الدولي فلابد من [٣٤] :

١. اختيار وحدات ومستوى التحليل ٠

٢. اختيار الحالة وذلك بافتراضات معينه تتعلق بالزمان والمكان ٠

٣. تقسيم الحالة إلى مراحل ، كم عدد هذه المراحل ومتى تنتهي كل منها ٠

٤. ثم تحديد النموذج نفسه الذي يكون محددا أو مقيدا بواسطة التحالف والصراع وظروف كل مرحله ٠

ويمكن ترتيب الأشكال المختلفة المتوقعة لمعالجة الأزمات عن طريق التأثير على الأطراف الثالثة (في ظل سياسة الأقطاب الثنائية) طبقاً لدرجة التعاون بين الدولتين الرئيسيتين ، والحد الأدنى من التعاون يتمثل في اتخاذ خطوات

متوازية ، ولكن غير متفق عليها ، وغير متسقة ، وقد تتخذ هذه الخطوات سواء بوعي أو بغير وعـى ، ولكنهـا خطوات مشتركة متشابهة في إجراءاتها ، لكبح جماح الأطراف المشتركة اشتركاً كاملاً في الصراع ٠

وهناك مرحلة أعلى لإدارة الأزمة هي مرحلة بذل الجهود بصورة متناسقة ، وهنا تنسق الدول الكبرى إجـراءاتهم المتوازنة من خلال مباحثات مباشرة بينهم ، أي اللجوء إلى الدبلوماسية المشتركة أو حتى العمل العسكري المشترك ، وهو أعلى مستوى يمكن تصوره لإدارة أزمة أو صراع دولي (٣٥) ، كما حدث فى أزمة الخليج الثانيـة مـثلا ، فالهدف الأسمى من إدارة الصراع بصورة مشتركة من قبل الأطراف العظمى هو تجنب حرب كبـرى ، حتـى دون تسوية الموضوع الأساسي للأزمة ، كما حدث ويحدث في صراع الشرق الأوسط منذ حرب أكتوبر ، وما قبلها أيضا ٠

وبالطبع فائدة هذه النماذج واضحة في القياس على تطبيقها في المواقف الجديدة ويلزم إقامة النماذج للاستفادة منها ، فيري بوخان Buchan أن هناك نموذجين مختلفين لهياكل إدارة الأزمة ، نظام متحالف لإدارة الأزمة الدولية ونظام ثنائي لإدارتها ، أي نظام جماعي ونظام ثنائي في إدارة الأزمات الدولية ، وهناك نموذجين آخرين مثل أزمة عدائية على المستوى المركزي وأزمة داخلية على المستوى المحلي ، وهناك أيضاً نماذج : التنبؤ والاحتمالات والجبـان وورطه السجين والمباريات وغيرها ، ونستعرضها في إيجاز على النحو التالي :

ـ التنبؤ والتحليل والتجربة : وسائل ضرورية لإدراك عمليات الصراع والحرب والأحداث السياسـية المختلفـة ، وتفهم جوهرها ومحتواها ، ومعرفة ما يستجد من قوانين وأساليب تطورها ، فوجود التنبوءات في مجال الصراعات الدولية يكون بوجه عام صعباً وغير دقيق تماماً ، وتبعاً لذلك يجب أن نكون حذرين إذا كان من الضروري إجرائها ، وتهدف التنبوءات إلى " تحديد التطور المحتمل للحدث "(٣٦) ، ويمكن تقدير التنبوءات باستخدام الحاسب الآلـي أو التخمين أو التجريب ٠

ـ الاحتمالات : نظرية ونماذج الاحتمالات في الصراعات وفى السياسة والحرب تهدف إلى الشرح المبسط والعرض الشامل للقادة السياسيين والعسكريين بوجه خاص وللعاملين بمختلف الميادين بوجه عام لإبراز أهمية هذه النظرية ، واستخدام طرق الحسابات الاجتماعية ، وذلك عن طريق إعطاء أمثلة تطبيقية تساعد علـى اسـتيعاب الأسـس النظرية وأهميتها في الحياة العلمية في ظل القضايا الاجتماعية المعقدة ٠

وفى نموذج الاحتمالات في الصراعات الدولية ، فإن أهم ما يواجه القائد السياسي أو العسكري هو مجموعة مـن الطرق المفتوحة لقضية ما ، يختار أياً منها ، على اعتبار أن كل الطرق السالكة لا تؤدى في معظم الأحيان للهدف المطلوب ، ومن هنا تأتى أهمية معرفة الاحتمالات التي قد تقع عندما يختار القائد طريقه من بين طرق عدة (٣٧) ، كما وأن التنبؤ العلمي لايمكن بأي حال من الأحوال أن يأتى صحيحاً إذا لم يستند على دراسة الطرق والاحتمـالات والفرص التي يبحثها القائد مع أركانه بعدة أساليب كلعبة الحرب المتبعة لدى ضباط الأركان ، واللعبة السياسـية ،

وشجرة الاحتمالات والمصفوفات التي يتبعها رجال السياسة عند اتخاذ القـرار السياسـي المضـمون فـي إدارة الصراعات الدولية ٠

ــ نظرية المباريات وإدارة الصراعات : برهنت الحرب الحديثة وتبرهن كل يوم ، أن كل صراع أو صدام أو نـزاع يدور في أتونها يجب أن يستند على العلم والذكاء وتحليل المواقف المتبدلة باستمرار بكل حنكة وذكاء ، على اعتبار أن استخدام الوسائل الحديثة وطرق إدارة الحرب على الخريطة أو في ساحة العمليات ، إنما هي عمليـات ذهنيـة تتطلب : (٣٨) سرعة البديهة وتصور موقف الخصمين أو الطرفين المتخاصمين بدقة وإتقان ، وقـادة الأطـراف المتصارعة وطرق تفكيرهم ورد فعلهم المتوقع ٠

فالمباريات هي نموذج مختلف جدا من إدارة الصراع ، يشبه المباريات التي يسيطر كل لاعب فيها إلى درجة معقولة على تحركاته ، ولكن ليس بالضرورة على نتائج هذه التحركات، ويمكن تطبيق بعض نماذج المبـاراة علـى هـذه التحركات ، فكثير من الأعمال التي نمارسها للترفيه مثل البوكر أو البريدج أو الشطرنج ، تشـبه بشـكل مجـرد ومحدود مواقف الصراع في الحياة الواقعية ، مثل المنافسة التجارية والسياسية والدبلوماسية والحرب، ولـذلك ، لكي يجيد اللاعب اللعب ، فلابد له أن يعرف ماذا يريد ، وأن يدرك ما يعرفه فعلا ومالا يعرفه وما يستطيع فعلـه ومالا يستطيع ، فكثيرا ما تكون معرفته بنتائج عمله غير مؤكدة ، لأن نتائج الحركة في أي مبـاراة تعتمـد علـى الحركة التي يقوم بها الطرف المنافس ، بل غالبا ما يجهل ما يستطيع منافسه أن يفعله ، حسب ما يحوزه منافسه من أوراق اللعب ، وما يقرر أو يخطط (أي نواياه) ، ولذلك يختار اللاعب لكي يفوز أو على الأقل لكي لا يخسر ، تحركاته الفردية وسلسلة التحركات القصيرة التي نسميها (التكتيكات) ، كما أنه يختار أنواع وسلاسل التحركـات الطويلة التي نسميها (الاستراتيجيات) والتي تضم بين مكوناتها التحركات التكتيكية (٣٩) ، وهكذا ، فـإن أكثـر الاستراتيجيات تعقلا للاعب هي الاستراتيجية التي يزيد احتمال خروجه عن طريقها بنتيجة مُربحة ، أو بمعيار آخر ، هي تلك الاستراتيجية التي عن طريقها يزداد احتمال تجنب نتيجة خاسرة ٠

فمنظر إستراتيجية أو نموذج المباريات ، سوف يسأل خمسة أسئلة أساسية لصانع السياسـة بخصـوص موقـف الصراع وهى : (٤٠) ماهى الاستراتيجيات المتاحة لك ؟ ، وماهى الاستراتيجيات المتاحة لخصمك ؟ وما هو نتـاج السلسلة الكاملة من أزواج الاستراتيجيات إذا فعلت هذا وفعل هـو ذاك ٠٠ الـخ ، مـن خـلال القـائمتين مـن الاستراتيجيات ؟ وماهى القيمة التي تضعها على النتائج المختلفة ؟ وأخيراً ماهى القيمة التي يضـعها خصـمك أو عدوك على نفس النتائج ؟ ٠ ومن الواضح أنه للإجابة الكاملة على هذه التسـاؤلات تفرض على صانع القرار (القائم بإدارة الصراع الدولي) أن يكون صريحاً بخصوص تقييمات وتقديرات الاحتمالات ٠

وتتطلب نظرية المباريات خمسة مفاهيم أساسية هي (٤١): مفهوم الاستراتيجية وتعنى الكلمة خطة ماهرة كاملـة لايمكن إفسادها من جانب الخصم أو من جانب الطبيعة ، وهى مجموعة تحركات وتعمل حسـاب للسـلوك الكامـل للخصم ، والمقاصة ، والتي تشير إلى قيمة المباراة لكل من يدير الصراع عند تصادم زوجين من الاستراتيجيات ،

والقواعد ، وهى تحدد بوضوح المسموح وغير المسموح به في الصراع المحدد ، مثل القوانين الطبيعية والبشرية والعوامل الجغرافية والبيولوجية والاجتماعية والنفسية ، ثم المعلومات ، وهى حجر الزاوية للقائم بإدارة الصراع ، فكل صراع له بنية معلومات تعطى أهمية عظمى لتوقيت التحركات المختلفة ، وأخيراً الائتلافات والتحالفات التي تؤثر في الصراع ، ولابد من أخذها في الحسبان ، ومن هنا ، فإن نظرية المباريات هي وسيلة للتفكير في الصراع وصنع القرار وكشف الاستراتيجيات المُثلى وتحليلها ، وتعرف أيضا بنظرية السلوك الرشيد .

ولذلك ، نستطيع تصور التفاعل أو التعامل بين الدول في شكل مباراة ، يعني تنافس الدول في الحصول على مغنم ، ولا تتضمن بعض أنواع المباريات أكثر من رابح واحد ، وقد يوجد في المباريات الأخرى عدة رابحين أو خاسرين ، على أن العنصر الأساسي في السياسة عندما تتخذ شكل المباراة هو ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الاستراتيجيات التي يتبعها كل لاعب أو كل بلد ، فلابد أن يعمل اللاعب حساباً لمصالح الخصم واستراتيجياته وبتحقيق أفضل طريقة للعمل إذا أحسن كل لاعب توقع ما يفعل الآخر ، وتستند نظرية المباراة على افتراضات مبسطة منها (٤٢) :

أ ــ اتصاف البشر بالعقلانية ، أو على أقل تقدير اتصاف أغلب البشر بالعقلانية معظم الوقت ، وربما اعتقد أن الحكومات عبارة عن كائنات منفردة تعتمد في حساباتها على العقل ، وتعني العقلانية بهذا المعنى سعي كل فريق لتضخيم مصالحه .

ب ــ بالمقدور حساب جانب المنفعة (القيمة أو الربح) في كل نتيجة والتعبير عن ذلك بلغة الأرقام ، أو باستعمال مقياس مقسم إلى درجات ، أو تبعاً لمقياس يدل على مرات المرغوبية ، ويساعد ذلك على إيجاد معيار موثوق به في المقارنة العقلانية للإستراتيجيات ، تبعاً لقدرتها في الإسهام في تضخيم مصالحها .

ولا شك أن هناك العديد من أشكال المباريات مثل الرعديد ومأزق المحبوس وواحدة بواحدة والجريت وغيرها مما لا يتسع المجال لسردها .

ــ نماذج المباريات وإدارة الصراعات والأزمات : في حالة تسيد عوامل زيادة حدة وسرعة الصراع ، فإن هناك نماذج رياضية توضح أن الصراع سوف يتصاعد إلى ما لا نهاية ، حتى يتم تدمير أو انهيار أحد الأطراف أو أحد أجزاء النظام ، وتوضح عملية إدارة الصراع متى يتم الوصول إلى نقطة الانهيار هذه ، وفي ظروف أخرى ، قد تزداد عوامل ضبط النفس ، بمعدل أسرع من ازدياد عوامل تصعيد الصراع ، بل قد يتوقف الأمر كله (في الصراع) عند نقطة ما قبل انهيار النظام ، وتدمير أي من الأطراف المتنازعة ، وهنا تبدو أهمية النماذج الرياضية ، والمباريات خصوصاً في معرفة متى وكيف يستمر الصراع ، ومن هذه النماذج (٤٣) :

• استراتيجيات المباريات المتعقلة : وهي تشبه المباريات التي يسيطر كل لاعب فيها بدرجة معقولة على تحركاته ، ولكن ليس بالضرورة على نتائج هذه التحركات ، ويمكن تطبيق بعض نماذج المباريات على هذه التحركات ، فكثير من الألعاب التي نمارسها للترفيه مثل البوكر أو البريدج أو الشطرنج ، تشبه بشكل مجرد ومحدود مواقف الصراع في الحياة الواقعية ، مثل المنافسة التجارية والسياسة والدبلوماسية والحرب ، وهذا هو أحد الأسباب التي

تجعل الناس يجدون هذه الألعاب مثيرة وجذابة ، ففي كل لعبة من هذه الألعاب يمتلك اللاعب عددا من البدائل يفضل على أساسها بعض نتائج اللعبة ، كما أن لديه عدة اختبارات بين الحركات المختلفة التي يمكن أن يقوم بها ، وبعض التوقعات عن النتائج المحتملة لأي حركة يختارها ٠

فلكي يجيد اللاعب اللعب ، لابد له أن يعرف ماذا يريد ، وأن يدرك ما يعرف فعلا وما لا يعرفه ، وما يستطيع فعله وما لا يستطيع ، فكثيرا ما تكون معرفته بنتائج عمله غير مؤكدة ، لأن نتائج الحركة في أية مباراة تعتمد على الحركة التي يقوم بها المنافس ، بل غالبا ما يجهل ما يستطيع منافسه أن يفعله ، حسب ما بحوزة منافسه من أوراق اللعب الممتازة أو الضعيفة ، وما يقرر أو يخطط (أي نواياه)،وفي مواجهة عدم التأكد هذه ، يجب على كل لاعب أن يبني تحركاته على أساس أوقع ما لديه من التخمينات أو التقديرات المنطقية ٠

• مباريات ذات القيمة الصفرية (أو القيمة المحددة) : وتسمى مباريات قيمة الصفر ZERO-SUM أو مباريات القيمة المحددة FIXED SUM ، وفي مباريات القيمة الصفرية يساوي مبلغ كل الأرباح بالنسبة للاعبين صفر ، ولذلك فإن أي شيء يكسبه أي لاعب ، لابد أن يخسره اللاعب الآخر ، أما في مباريات القيمة المحددة ، فيتم تحديد جملة الأرباح عند رقم معين ، ليس صفراً بالضرورة ، بل قد يكون أكثر أو أقل ، وهنا يجب أن تكون أرباح أي لاعب على حساب اللاعبين الآخرين ، ولذلك ، فإن مباريات قيمة الصفر تعتبر قسماً فرعيا من مباريات القيمة المحددة ، ولكن أي مباراة قيمة محددة يمكن تحويلها إلى مباراة قيمة الصفر عن طريق عملية تحويل رياضية مبسطة ٠

وتمثل كل مباراة لقيمة الصفر نموذجا من الصراع الشديد ، ففي كل مباراة من هذا النوع بين شخصين ، نجد أن ما يربحه لاعب يخسره اللاعب الآخر ، وما يعتبر مفيدا لشخص يعتبر بالضرورة ضاراً لمنافسه ، وأي شيء قد يفيد أحد المنافسين يكون بالضرورة ضارا بنفس الدرجة للشخص الآخر ، ومن هذا المنطلق كتب ميكافيللي عن مفهوم القوة " إن الأمير الذي يزيد من قوة غيره ينقص من قوته هو " ٠

فكل صراع صفري بين طرفين هو عالم صراع قاس لا مصالحة فيه ، ويقوم هذا النموذج على أساس أن دوافع اللاعبين أو مصلحتهم ، لايمكن أن تتغير ، بمعنى أنهم لابد وأن يظلوا أعداء إلى الأبد ، ومع ذلك فإن هذا العالم يمكن أن يسوده التعقل ، حيث يمكن لكل لاعب أن يحسب متوسط فرص الربح أو الخسارة على المدى الطويل ، في سلسلة من الجولات المتكررة بنفس المباراة ، بل يمكنه أن يقدر أفضل استراتيجية يمكن اتباعها على هذا المدى الطويل ، ويمكنه أن يفترض أن هذه الاستراتيجية سوف تعطيه أفضل الفرص لدى أي مواجهة فردية ، كما يمكن لمنافسه أيضا أن يقدر أفضل استراتيجية له ، ويمكن لكل لاعب أن يقدر أفضل استراتيجية له ، ويمكن لكل لاعب أن يقدر أفضل استراتيجية لمنافسه ٠

فإذا كانت هناك استراتيجية واضحة المعالم لدى كل لاعب ، وإذا كان كلا من اللاعبين يستطيع اتباع أفضل استراتيجية له ، أمكن القول بأن المباراة قد أصبحت ذات حل ثابت ، أي إلى نتائج ثابتة بالنسبة لكلا اللاعبين ٠

وهذا النوع من المباريات غالبا ما يكون لها أكثر من حل ، ولكن عدد الحلول الثابتة عادة ما يكون قليلاً ، ولكن لابد من وجود أكثر من وسيلة ثابتة قابلة للتطبيق لمعالجة موقف من مواقف الصراع ، وهذا ما يـدلنا علـى وجـود مجموعة من الوسائل العلمية لمعالجة الصراعات ، وتوحي تلك المباراة الصفرية بإمكانية اختيار مجموعـة مـن الاستراتيجيات أو السياسات البديلة القابلة للتطبيق على أساس عقلاني .

كما توحي تلك المباراة أنه قد يوجد حل أو عدة حلول ثابتة تشبه ، إلى حد ما ، الحلول الوسط ، أي التي تجمع ما بين الحد الأقصى والحد الأدنى، فإذا افترض لاعب أن منافسه سيكون بارعاً قدر الإمكان ، وسوف يلعب ليحرز أكثر ما يستطيع من أرباح ، فغالباً ما يوجد لهذا اللاعب نوع من الاستراتيجية التي يقوم بحسابها أو اكتشـافها والتـي يمكن بواسطتها تقليل خسارته إلى الحد الأدنى ، وبالتالي تقليل أرباح منافسه إلى الحد الأدنى .

وطبقا لنظرية المباراة الصفرية ، وفي الصراعات الشديدة ، تعتبر أكثر الاستراتيجيات أماناً بالنسبة للاعب ، هي أن يختار " أفضل الأسوأ " أو " أسوأ الأفضل " من بين كل النتائج الممكنة ، أي أنه في حالة قيام اللاعب بـذلك علـى نحو مستمر ، فإن توزيع كل النتائج الممكنة للمباراة بين اللاعبين سوف تتلاقى على الأقل في نقطة التقاء واحدة ، يجتمع فيها الحد الأدنى من الحدود القصوى للاعب مع الحد الأقصى للحدود الدنيا لمنافسه ، ويمكن الوصول إلـى هذه النقطة عن طريق الاستراتيجية .

• مباريات القيمة المتغيرة أو الدافع المختلط : في مواقف الصراع ، توجد مباريـات تسـمى القيمـة المتغيـرة VARIABLE SUM ، وهي مباريات يربح فيها أحد اللاعبين شيئاً من أحدهم الآخر بطريقة تنافسية ، ولكنهم في نفس الوقت أو بطريقة جماعية ، يربحون أو يخسرون من لاعب إضافي أو ثانوي ، لذلك ، تصبح هذه المباريات مختلطة الدوافع MIXED MOTIVE ، بالنسبة للاعبيها الأساسيين ، فهي بالنسبة لهم مباريات تنافس على أساس أن هـؤلاء المتنافسين يحاولون الكسب من أحدهم الآخر ، ولكنها أيضاً مباريات تنسيق ، على أساس أن هؤلاء اللاعبين ككل سوف يربحون أو يخسرون ، تبعاً لقدرتهم على تنسيق تحركاتهم ، بما يتماشى مع مصالحهم المشتركة ضد الطرف الثانوي .

وتنفذ نموذج مباريات القيمة المتغيرة في مواقف الصراع في مشاكل الأمن الجماعي وتكوين التحالفات الدولية ضد دولة عظمى .

وتعتبر مباريات الدجاجة THE GAME OF CHIEKEN ، أو التهديدات المتبادلة : وهي صورة مـن صـراع الـدافع المختلط ، وهي صورة تُمثل بقيام لاعبان بقيادة سيارتيهما في طريق منعزل بأقصى سرعة في مواجهـة أحـدهما الآخر ، وكان أول لاعب ينحرف عن منتصف الطريق لتجنب الصدام يطلق عليه الدجاجة " كناية عـن الجـبن " ، وهذه اللعبة تشبه إلى حد كبير المواجهة المباشرة في مجال السياسة العالمية بين القوى العظمى التي تهدد أحدهما الأخرى بالحرب النووية ، ولعبة الدجاجة توضح لنا النموذج الرياضي الكامن فيها ، فكل من اللاعبين لديه اختيار بين استراتيجيتين : فهو إما أن يتعاون مع اللاعب الآخر بأن ينحرف تجنباً للتصادم ، وإما أن يستمر في القيـادة

المباشرة مع احتمال موته إذا فعل منافسه نفس الشيء أو انتصاره ٠إذا ما انحرف منافسه في آخر لحظة ، فكل لاعب يبدأ تحركه بأن يقرر التعاون أو الاصطدام ، ولكن نتيجة تحركه لا تعتمد على قراره فحسب ، ولكن تعتمد أيضاً على قرار الخصم، وفي هذه المباراة لا ينتظر اللاعب ما سيفعله الخصم ، بل يجب اللاعب أن يختار مقدما أفضل استراتيجية لديه لكي يتصرف على أساسها ، ولذلك ينصح الخبراء الساسة المتعقلين طبقا لنظرية المباراة هذه ، بأنهم يجب أن يختاروا سياسة الخط المتساهل بدلاً من سياسة الخط المتشدد ٠

• ورطة السجين PRISONERS DILEMMA ، وهي لعبة أخرى واستراتيجية جديدة للمباريات في الصراع الدولي ، تُسمى التهديدات والوعود ، أو مأزق السجين ، وهي لعبة أكثر واقعية وتتلخص قصة هذه المباراة في أن مأمور أحد السجون كان لديه ذات مرة سجينين لا يمكنه إعدامهما إلا في حالة اعتراف أحدهما على الأقل ، فقد استدعى المأمور أحد السجينين وعرض عليه إطلاق سراحه واعطائه مبلغاً من المال إذا اعترف قبل يوم واحد على الأقل من اعتراف زميله ، حتى يمكن إعداد عريضة الاتهام وتنفيذ حكم الإعدام في زميله ، كما أخبره المأمور بأنه في حالة اعتراف زميله قبل يوم واحد من اعترافه هو فإن هذا الزميل سوف يطلق سراحه ويأخذ المبلغ بينما ينفذ حكم الإعدام في الأول ، وهنا سأله السجين الأول : وما الذي سيحدث إذا اعترفنا نحن الاثنين في نفس اليوم ؟ ، فأجابه المأمور : في هذه الحالة لن يتم إعدامكما ولكنكما ستقضيان عشر سنوات في السجن ، ثم سأله السجين : وما الذي سيحدث إن لم نعترف نحن الاثنين ؟ ، فأجابه : في هذه الحالة سيطلق سراحكما دون أية مكافأة ، ولكن هل ستقامر بحياتك إذا سارع زميلك السجين بالاعتراف والحصول على المكافأة ؟ ودعاه للعودة لزنزانته والتفكير حتى اليوم التالي ، وفعل المأمور نفس الشيء مع السجين الثاني ، وأمضى السجينان الليل في التفكير في هذا المأزق ٠٠٠ فكل سجين لديه استراتيجيتان : إما أن يتعاون مع زميله على الصمت أو أن يبتعد عنه بالاعتراف ، مما يؤدي لأربعة نتائج ممكنة : صمت كلاهما والفوز بالحرية دون المكافأة أو صمت الأول واعتراف الثاني فيعدم الأول ويحصل الثاني على حريته والمكافأة ، أو اعتراف الأول وفوزه بالحرية والمكافأة وإعدام الثاني ، أو اعتراف الاثنين وقضائهما عشر سنوات في السجن معاً ٠

ولذلك ، نجد أن ورطة السجين ليس لها حل متعقل مقنع ، اللهم إلا ذلك الحل السخيف الذي يحاول فيه كلا السجينين الاعتراف فينتهي الأمر بقضاء عشر سنوات في السجن ، وهو متعقل لأنه أفضل الحلول الممكنة رغم أن نتائجه ليست أفضل النتائج لكلاهما معا ٠

ـ أسلوب الردع في إدارة الصراع : التهديد والردع أسلوب من أساليب تنفيذ السياسة الخارجية ، وخصوصاً في مواقف الصراع ، ومواقف التهديد والردع يمكن معالجتها على أساس : أنها مباريات دوافع مختلطة ، فهناك الجانب الذي يقوم بالتهديد ، وهناك الجانب الذي يتعرض للتهديد (المُهَدد والمُهدِدْ) ، ويجب أن يكون لديهما على الأقل مجموعة من المصالح المتصادمة ، بأن يكون المُهَدَدْ يفعل أو على وشك أن يفعل شيئاً يكرهه المُهَدِد ، بدرجة تجعله يهدد بوقف أو تغيير ، أو منع هذا الشيء ٠

وفي حالة التهديد والردع هذه ، يحتفظ الطرفان بمصلحة مشتركة ، تزداد مع زيادة تكلفة تنفيذ التهديد ، فإذا كـان الخصمان متساويان ، وكانت التكلفة المشتركة أكبر مما تستحق المسألة المختلف عليها ، فإن الردع يصبح أشـبه بمباراة الدجاج ، وإن كانت التكلفة كبيرة ولكنها أقل من الفائدة المتصارع عليها ، فإن الردع هنـا يصـبح أشـبه بمأزق السجين ، لذلك ، فإن الردع يعتبر من أحسن السُبل عقلانية ضد الخصم ضعيف الدفاع ، والتهديد الشديد هو ضد خصم لا يستطيع إحداث نفس الخسائر في حالة الرد بالمثل ، مثل التهديد بالقصف البحري أو الجوي ضد دولة متمردة أصغر وأشد فقرا ، وليس لها قوة بحرية أو جوية مشابهة للرد بالمثل ، فكلما كان التهديـد أشـد (مثـل التهديد باستخدام أسلحة أكثر دماراً أو بتوجيه ضربات مباشرة ضد أشياء أو أشخاص أو مناطق عزيزة مـؤثرة) كان التهديد أكثر فعالية ضد خصم ضعيف ولكن متعقل ، ولكن الوضع مختلف إذا كان الخصم باستطاعته الرد بنفس مستوى العنف أو يكون له حلفاء أشداء يمكن أن يردوا نيابة عنه ٠

والردع يعالج الموقف على افتراض وجود دوافع غير متغيرة عند اللاعبين خلال المباراة بأكملها ، ولكن الحقيقـة تقول أن اللاعبين الذين يستخدمون أقصى درجة من الترشيد لابد وأنهم يرغبون فـي تحقيـق النصـر ، وأنهـم بالضرورة لا يرضون بغير النصر ، ولكن هذا الافتراض يتطلب ثبات السلوك السياسي والسلوك البشـري طـوال المباراة ، وهذا غير موجود في الواقع ، لأن الحكومات والأفراد والأحزاب والدول والجماعات تغير رأيها وتغير في مواقفها وتغير من سلوكها ، وخلال الصراع التي تكون طرفاً فيه تُحدث بعض التغييرات والتي تكون مـؤثرة فـي مجال الصراع وإدارته ٠

والردع أو التهديد له من العيوب الكثير ، ومنها أنها لا تصلح إلا في التفكير قصير المدى وتميل لاعتبار قـدرات المتنافسين ثابتة وإهمال التكاليف العرضية للصراع بالنسبة لكل منهما ، وهناك انتقادات عديدة للردع ٠

إذن ، فنظرية المباراة ، بمختلف جوانبها واستراتيجياتها ، غرضها واحد ، وهو صياغة مبـادئ كاملـة بصـورة رياضية لتحدد : ما هو السلوك الرشيد لأنواع معينة من المواقف الاجتماعية ؟ ، والسلوك الرشيد يعنـي سـلوك مخطط لإنتاج وقرارات ومسارات للفعل تُجسد أقل السُبل تكلفة لتحقيق الأهداف و المحافظة على الخسائر عند أدنى الشروط المقبولة ، إذن فالمباراة هي أسلوب للتحليل وأسلوب لاختيار مسارات الفعل المُثلى في المواقف الاجتماعية والدولية والتي تُسدي سلوكاً رشيداً ، والتي تكون فعلاً موجهة نحو هدف ومؤدية إلى إنجاز غايات معينة ، وتتميز مواقف المباراة بالصراع والتنافس وأيضاً التعاون ، ومن هنا فالمباراة من النماذج المُهمة التي تُدار بها الصراعات والأزمات المختلفة ٠

ـ الاستراتيجيات المناسبة لإدارة الأزمات والصـراعات : وتقتضـي عمليـة إدارة الصـراعات التعـرف علـى الاستراتيجية المناسبة لإدارة هذه الصراعات وتلك الأزمات الخارجية بين الدول المختلفة ، والاسـتراتيجية ، كمـا نعرف ، هي الخطة العامة " وتسمى الخطة الذكية الماهرة " لتحقيق الأهداف في مواجهـة الخصـوم والمنافسـين

والقوى المناوئة والظروف المتغيرة ، وعادة ما تركز الاستراتيجية في هذه الخطة على عدة عناصر أو محـــاور ، ومن هذه المحاور للاستراتيجيات (٤٤) :

ـــ المعرفة التامة لمبادئ إدارة الصراع والأزمات ٠

ـــ اختيار فريق إدارة الأزمات : وهم ليسوا جهاز أو هيئة إدارية بيروقراطية دائمة ، ويتكون هذا الفريق مجموعة من الخبراء المتخصصين في مختلف المجالات ، ويجتمع الفريق في غرفة عمليات مجهزة بمقر وزارة الخارجية أو قيادة القوات المسلحة أو رئاسة الدولة ، ويجتمع هذا الفريق منذ بدء الأزمة وحتى حل هذه الأزمة أو انفراجهـــا ، ويتطلب عمل هذا الفريق توفير أجهزة اتصال عالية التقدم ووسائل تخزين معلومـــات ووســـائل إيضـــاح ســـمعية وبصرية ، من قاعدة بيانات وذاكرة معلوماتية ومنهج للتحليل والتقويم ، ولا يكون لهذا الفريق صفة رسمية ، الذي يتحدد تشكيله علي ضوء مستوى الأزمة ذاتها ٠

ـــ مهام إدارة الأزمة : تتمثل مهام ومتطلبات إدارة الأزمة على أربعة محاور هي : مشاكل توافر المعلومـــات فـــي ظروف الأزمة ، والمتطلبات الخاصة بعملية صنع القرار في ظروف الأزمة ، ووسائل التنســـيق بـــين الإجـــراءات الدبلوماسية والعسكرية ، وأساليب الاتصال مع الخصم أثناء الأزمة وكيفية المحافظة عليها ٠

ـــ تسلسل مهام فريق إدارة الأزمة : وتتسلسل مهام فريق إدارة الأزمة وفقا لمتطلبات فن الإدارة وفن التعامل مـــع الأزمات والتوترات والصراعات على النحو التتابعي التالي (٤٥) :

مرحلة تقدير الموقف ، ثم مرحلة بناء الخطط ، ثم مرحلة تحديد الأولويات ، ثم مرحلة تنفيذ الخطط والسيطرة على الأزمة ، ثم مرحلة التقييم ، وهي المرحلة النهائية ٠

وإذا أردنا إعادة تقدير الموقف نبدأ هذه المراحل من جديد ٠

ـــ مستويات إدارة الأزمة : وتتعدد مستويات إدارة الأزمة على النحو التالي (٤٦) :

المستوى الرئاسي لإدارة الأزمة : وهو الذي يضع أساس سياسة الدولة واستراتيجيتها ، ويتعامل مع مواقف الأزمة الكبرى والشاملة ، مثل الأزمات الدولية والحروب والتوترات والصراعات والكوارث القومية الكبرى ٠

المستوى القومي إدارة الأزمة : وهذا الذي يتعامل مع المواقف التي لها انعكاس على المصالح الحيويـــة والقـــيم الجوهرية للدولة ، والتي يكون لها قدر من الأهمية والشمول بحيث تكون لها نتائج سليمة على الأمن القومي ٠

المبحث الرابع

القائم بإدارة الصراع

يلعب بعض المتحكمين في أي صراع دولي الدور الرئيسي في الهيمنة والسيطرة على مجريات الصراع بفضل تحكمهم ، إما في أساليب إدارة الصراع ، أو في مصادر هذا الصراع ، أو حتى في أطراف الصراع ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ٠

وعلى هذا فإن القائم بإدارة الصراع هو الشخص الذي يلعب دورا هاما في توجيه دفة الصراع ، ولذلك فالقائم بإدارة الصراع لابد أن تتوافر لديه المهارات القيادية ، وهذه المهارات تتولد وتنمو طالما كانت الظروف مواتية لذلك وبالأخص في ناحيتين : أسلوب علمي في تصعيد الكوادر القيادية وتوفر المؤسسات والمنظمات التي تسمح بذلك ، ولذا نجد تأثير شخصية القائد واضحا في إدارة الأزمات ، كذلك السلوك التنظيمي في مؤسسات الدولة المختلفة التي تشارك في صياغة القرار السياسي ٠

فنجد تأثير شخصية القائد كبيرا ، وكثيرا ما تنعكس إصابة شخصيات الحكام من شيخوخة أو مرض عضوي أو نفسي على القرارات السياسية التي قد تدفع بالأمور إلى مستوى الأزمة ، ولكن نفترض دائما في إدارة الصراعات والأزمات وجود قادة عاديين من ذوي الشخصية السوية (٤٧) ، وهناك السلوك التنظيمي في مؤسسات السلطة ويشمل هذا التنظيم مجموعة من التوقعات والمعايير التي تحكم سلوك الأفراد داخل المنظمات ، وهي بالتالي تتميز بطابع خاص في مؤسسات الحكم وأجهزة السلطة العامة ، وينبع ذلك من طبيعة السلطة المعاصرة والتي تتميز بظاهرة تعدد مراكز صنع القرار وبظاهرة الدور المتزايد للسلطة الاستشارية المتخصصة والذي نتج عن تعقد المشاكل المعاصرة مما جعل الزعماء السياسيون يبحثون عن حلول عاجلة لمشاكل الحكم والإدارة لدى الخبراء ٠

ولكن هناك بعض الملاحظات عن القائم بإدارة الصراع الدولي :

١.فالقائم بإدارة الصراع يحتاج إلى ملاحظة مؤشر الأحداث الدولية ، وذلك حتى تتاح له إمكانية التوقع والتنبأ ، وحتى يمكنه التحكم في مختلف جوانب الصراع حتى لا ينفجر ٠

٢.القائم بإدارة الصراع يحتاج إلى تطبيق بعض النماذج على المواقف التي تصادفه ٠

٣.اهتمام القائم بإدارة الصراع يكون بإمكانية تطبيق إحدى النماذج في الصراعات الدولية أو أكثر من نموذج لمساعدته في إدارة صراع معين ٠

٤.وتقع على عاتق القائم بإدارة الصراع مهمة التخطيط بالنسبة لما يمكن أن يستجد من صراعات ٠

٥.ويرتبط التخطيط بالتوقع والتنبؤ ، ويبرز أكثر وأكثر عند القائم بإدارة الصراع ، إذ عليه أن يتنبأ بمواقف الصراعات المقبلة ، والقيام بتقديرات بشأنها [٤٨] ٠

وبالطبع عند التنبؤ والتخطيط فإن هناك بعض الظواهر التي لا يمكن التنبؤ بها مثل البراكين والزلازل والظـواهر الطبيعية .

والقائم بإدارة الصراع يحتاج إلى الملاحظة ليتنبأ ويُعَمم ويطبق النماذج والاستراتيجيات على المواقف الجديـدة ، ويحتاج إلى عدة طرق لتساعده في ذلك ، مثل [٤٩] :

• مقارنه عدة مواقف للصراع ، وهى وسيله لمحاولة التأكد من صحة النموذج الصراعي ولا غنى عن المقارنـة للتنبؤ .

• الاعتماد على الخبرات الماضية مع الاستفادة بالأساليب الحديثة ، أي يتعلم القائم بإدارة الصراع مـن التـاريخ ويعرف لماذا حدث هذا ؟! مع ملاحظة أنه يجب عليه أن يفهم حقيقة ودرجه التشابه بين المواقف فـي الماضـي والحاضر ، وحدود أوجه التشابه .

• لا يمكن التعميم من خلال أكثر من صراع ، بل يمكنه الاستفادة في كل صراع من هذا السؤال : لماذا حـدث ؟ ، أي الاستفادة بالدروس الهامة منها .

• ولابد أن يضع القائم بإدارة الصراع نصب عينيه على طبيعة النظـام الدولي السائد ومكانه الدولة فيه وصورتها وتطلعاتها وذلك عند اختياره للإستراتيجية الملائمـة لتحقيق أهداف أمته .

• ولابد من وجود البدائل المتاحة في كافة مواقف الصراع وضرورة توافر المرونة في استخدام البدائل .

• لا يمكن الفصل بين أدوات إدارة الصراع وفن استخدام تلك الأدوات لأن نجاح الأدوات والوسائل تتوقـف علـى كيفيه استخدام هذه الأدوات .

• في كل نماذج الصراع تتطلب وضع استراتيجيات مختلفة حتى يمكن إدارة الصراع إدارة ناجحة ، ولكن تتـدخل شخصية رجال الدولة وتتأثر إدارة الصراع بالوضع السياسي الداخلي ويؤدى هذا إلى تفضيل استراتيجيات معينة[٥٠] .

• ولابد للقائم بإدارة الصراع أن يجيب على بعض التساؤلات المطروحة من قبل الخبراء بخصوص موقف الصراع وهذه التساؤلات هي : ما هي الإستراتيجيات المتاحة لك ؟ ، ما هي الاستراتيجيات المتاحة لخصمك ؟ ، ما هو نتاج السلسلة الكاملة من ازدواج الإستراتيجيات : إذا أنت فعلت كذا وهو فعل كذا ؟ ، ما هي القيمة التي تضـعها علـى النتائج المختلفة ؟ ، ما هي القيمة التي يضعها الخصم على نفس النتائج ؟ .

• وباختصار شديد ، فإن أية أزمة أو أي صراع يتطلب وجود مدير الصراع أو الأزمة ، ويجب أن يتوافر في هذا المدير ما يلي : أن يملك معلومات كافية عن قدرات الطرف الآخر العسكرية ، وأن يملك القدرة على رؤية البـدائل المتاحة بطريقة أفضل .

• وهناك دور هام للمستشار ، في إدارة أي صراع أو أزمة ، سواء على المستوى الضيق في المؤسسات والشركات ، أو على مستوى الدولة ، في الأزمات الكبرى ، حيث يقوم مستشارو الرئيس أو القيادة السياسية بأداء دور هام في توجيه دفة الصراع أو الأزمة ، من خلال اشتراكهم في مجموعة إدارة الأزمة ، أو من خلال تقديم نصائحهم لمن يدير الأزمة ، ويقوم هؤلاء المستشارين بما يلي قبل وأثناء وبعد الأزمة (٥١) :

ــ قبل حدوث الأزمة : يكون للمستشارين دور فاعل في تصور الأزمات التي يمكن أن تحدث أو تواجهها البلد ، سواء الأزمات المنظورة أو المعروفة أو القائمة بالفعل ، أو الأزمات غير المنظورة ، وترتيبها تنازليا وفقا لخطورتها بالنسبة للمصالح العليا للبلد ، وتحديد أولويات مواجهة ما يحدث منها ، إذ ربما تحدث أكثر من أزمة في وقت واحد ، وكذلك ، يقوم هؤلاء المستشارين بالتحسب لحدوث الأزمة مستفيدين مما حدث للدول الأخرى ، وتصور أزمات معينة ، واتخاذ إجراءات وقائية ودفاعية بشأنها .

وكذلك ، تحديد مقدمات وبوادر كل أزمة ، حتى يتسنى سرعة معالجتها أو على الأقل التخفيف من وطأة نتائجها .

كما يقوم المستشارون بتقصي إمكانية حدوث أزمات معينة ، ودراسة ملفات الأزمات السابقة التي مرت بها الدولة لمعرفة كيف بدأت .

وكذلك ، يقدم المستشارون تصوراتهم لتطوير أنظمة العمل الداخلي حتى لا يخل الأمر بالأمن الوطني ، وتهيئة الأوضاع عند اندلاع الأزمة ، ووضع الحلول التي تتطلبها الأزمة مقدما ، وكذلك ، جمع وتحليل البيانات والمعلومات اللازمة عن موضوع كل أزمة .

ــ في أثناء حدوث الأزمة : يقوم المستشارون بدراسة وافية وتحليلية بمسببات الأزمة ، بالاستفادة مما أعدوه قبل حدوثها ، وهل هي جديدة أو مكررة ، وكيف عالجتها الدولة من قبل ، والعمل على تسخير إمكانيات الدولة لمواجهة الأزمة بقدر خطورتها ، ومراعاة ترشيد تكلفة مواجهة الأزمات ، والعمل على تقليل آثارها السلبية على المؤسسة بقدر الإمكان .

وكذلك ، قيام المستشارين بإجراء مسح شامل لجميع الجهات ذات العلاقة بالأزمة سواء داخلياً أو خارجياً ، مع تحديد الدور الذي يمكن أن يلعبه كل منها لمواجهة الأزمة.

والقيام بدراسة الأبعاد القانونية والنظامية المتعلقة بالأزمة في ضوء القانون الدولي وأنظمة المنظمات الدولية والإقليمية ، ودستور ونظم الدولة ذاتها .

ويقوم المستشارين أيضا ، بدراسة شخصية القائد الذي سيتخذ القرار على مسئوليته ، والمواءمة بين توصيات حل الأزمة وشخصية القائد وظروف اتخاذ القرار طبقاً للنظم الدستورية السائدة في تلك الدولة .

ويتعدى دور المستشارين إلى النظر في تكلفة الاقتراحات المطروحة لحل الأزمة ، ومدى توافر أو الاستعداد لتحمل تلك التكلفة دون التأثير على الاستقرار والأمن المالي والداخلي .

وأيضا ، يتزايد دور المستشارين ، بإجراء الاتصالات المختلفة لمحاولة حصر نطاق الأزمة وتقليل الخسائر الناجمة عنها ، واستغلال العلاقات الطيبة مع الأطراف الأخرى للتمهيد لإنهاء تلك الأزمة بأسلوب يتوافق مع توجهات القيادة السياسية .

ــ بعد حدوث الأزمة : يقوم هؤلاء المستشارين بدراسة آثار الأزمات على الدولة في مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والدولية والاجتماعية والمالية .

كما يشاركون في إعداد ملف كامل عن الأزمة وما يخصها من إجراءات ومراسلات وتقارير وجهود وتداعيات ، ليمكن حصر مختلف جوانب الأزمة واستخراج الدروس المستفادة منها .كما يقوم المستشارون ببحث علاقة كل أزمة بالأزمات الأخرى التي تعرضت لها الدولة ، واكتشاف المساهمات والاقتراحات التي ساهمت في حل الأزمة ، والاستفادة من جهود المساهمين في حل الأزمة.

كذلك ، يعكف المستشارون على متابعة تنفيذ الحلول التي أقرتها الدولة لمواجهة الأزمة ، ورفع تقارير عنها ونسبة تنفيذ كل حل من هذه الحلول ، والمعوقات التي صادفت الحلول المختلفة ، وأسلوب مواجهة تلك العوائق والمعوقات لإنهاء الأزمة من جذورها .

وكذلك القيام بدراسة علاقة الدولة بالعناصر المختلفة للأزمة بعد انتهائها وعواقب تلك العلاقات وتأثيرها في مختلف الجوانب للعلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية ...

ومن المعروف أن المستشارين لا يعملون بمفردهم ، ولكن يعملون من خلال فرق عمل متكاملة تجمع الخبراء في نواحي عملهم الهام جدا والحيوي للغاية بالنسبة لتسيير دفة الحكم بالدولة ، وبالنسبة لقيادة المؤسسات الخاصة والعامة .

ومما سبق يتضح أن للقائم بإدارة الصراع دور هام جدا في إدارة والتحكم في الصراع ولذلك فإن هذه الحالات تمثل نماذج إدارة الصراعات الدولية .

المبحث الخامس

أساليب إدارة الصراعات الدولية

ينطلق أغلب منظري الصراع الدولي في تحليلاتهم من مسلمات وقواعد رئيسية تفرضها طبيعة وتحول دراسة العلاقات الدولية من منهج الأخلاق القانوني إلى المنهج العلمي بفروعه السلوكية والكمية والتحليلية والإحصائية والوظيفية [٥٢] وغيرها من المناهج...

ويرون في مجال الحرب أنه يجب تجنيد أساليب ووسائل حتى يمكن النجاح في الحرب ، فلابد من تقييم الهدف السياسي من وجهة نظر دولة الصراع ومن وجهة نظر العدو ، وتحديد قوة ووضع الدولة ، بالإضافة إلى قوة ووضع النظام السياسي ومساندة الرأي العام له وشرعيته ، وشخصية حكومة العدو وشعبه ، وقدراتها ، والصفات المماثلة للحكومة وللشعب في الدولة ، كما أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات السياسية للدول الأخرى والأثر الذي ستحدثه الحرب في مختلف الدول(٥٣) .

وعند النظر بعمق أكثر إلى أساليب إدارة الصراع ، نرى أن الأساليب تكمل بعضها البعض ، ويكون التكامل بين الأساليب المختلفة من عناصر النجاح في إدارة الصراع ، وهذه الأساليب نتناولها في إيجاز ، ومنها :

• ميل طرفي الصراع إلى مزيد من التشدد والبعد عن التنازلات في بداية الأزمة ، أي يكون هناك نوع من التطرف لأن الاعتدال أو التصالح قد ينظر إليها على أنها ضعف ، ولذلك يخشى كل طرف الإفصاح عن رغبته في التسوية حتى لا تؤدى التنازلات إلى مزيد من التنازلات[٥٤] .

• قطع وسائل الاتصال بين الطرفين مؤقتا من جانب أحد الأطراف ، ومحاولة إضفاء نوع من الغموض على الموقف ، وهذا في حد ذاته تكتيكا مفيدا بالنسبة له ، ويمثل أسلوبا في الضغط أو إدارة الأزمة [٥٥] .

• أن يملك أطراف الصراع القدرة على التحكم والضبط السياسي للاختيارات العسكرية ، وبالتالي فإن الاعتبارات السياسية يجب أن يكون لها الأولوية على الاعتبارات العسكرية .

• ضرورة تفادى أو تجنب الكارثة : ويتضمن ذلك الاختيارات العسكرية التي تتحاشى وضع الخصم أو تحفيزه نحو تصعيد الموقف ، كذلك تحاشى إعطاء انطباع باللجوء إلى حرب واسعة .

ومن أجل تحقيق هذا الأسلوب يلجأ طرف الصراع إلى إبلاغ الخصم بتحقيق أهداف معينه ، وثمة منطقة متنازع عليها ، وتحديد الجوانب الأساسية والهامة في تعهد الخصم ، عن طريق الكشف عن حدود وضع الخصم ، وبالتالي يؤدى إلى مبادرة من أجل الحل الوسط ، ثم جس النبض ، وتخفيض بعض الجوانب غير الأساسية في تعهد الخصم ، مما يؤدى إلى تخفيض التداخل بين ارتباطات الطرفين .

• الارتباط بين العمل العسكري والعمل السياسي والدبلوماسي : فعندما تواجه أي دولة تحديا يهدد مصالحها يكون أمامها الخيار بين ثلاثة طرق :

أ. فإما القضاء على مصدر التحدي أو التهديد عن طريق الاستخدام الشرعي للقوة .

ب.وإما معارضه أو مقاومة التهديد بقوة معادلة لمنع التهديد ، من خلال سياسة الردع .

ت.وإما تحييد التهديد عن طريق عمليه تسويه مرضيه يمكن التوصل إليها من خلال المفاوضات (٥٦) .

ومع ذلك ، فإن القائم بإدارة الصراع لا يستبعد التخطيط للتدمير الكامل للعدو والتحقيق الكامل لأهدافهم ، وعندما يفشل تتجه الأطراف إلى التفاوض ولكن بدوافع الثقة في النفس والرغبة في الحل السلمي .

• أن يكون هناك توقف معين في العمليات العسكرية لاظهار الرغبة في تسويه المشكلة سلميا من الطرفين .

• أسلوب تزايد الضغط العسكري على الخصم ، مع ترك منفذ للخروج حتى يمكنه البدء في تسوية الأزمة بدلا من تصعيد الموقف وتطويل الصراع أو توسيعه أو بالنزول بالأهداف أو الآمال أسفل مؤقتا (٥٧) .

• التشدد الذي ينتهي بتنازلات تحفظ ماء الوجه ، وهى تعتبر الطريق للحلول الوسط وتقديم التنازلات يعنى مبدأ " لا هزيمة ولا نصر " .

وهناك من يُعدد أساليب تناول ومعالجة الأزمات والصراعات من خلال ثلاثة أساليب رئيسية لكل منه شكله ومضمونه وقوة تأثيره وهي (٥٨) :

ـ الأسلوب القهري : أي يتم استخدام القوة المسلحة من أجل إكراه الخصم وإجباره على التراجع عن موقفه وعدم التنازل لمطلب الخصوم ، مهما كان حجم التهديدات الذي يشكلونه ، ويعتمد هذا الأسلوب على قدرة الدولة على تحمل الخسائر وإيقاع العقاب الجسيم على الخصم .

ـ الأسلوب التساومي : ويعتمد هذا الأسلوب على التفاوض أساساً لحل الأزمة ، والأصل أن المفاوضة معناها الاستعداد للتنازل عن بعض المواقف المبدئية مقابل تنازل الخصم عن بعض مطالبه ، فهي إذن حلول وسطى أو عملية توفيقية ، وهذا في الواقع أساس التفاوض ، حيث يبدأ المفاوض بموقف متشدد ، ثم يتنازل تدريجياً حتى يصل إلى أدنى الحدود التي لا يستطيع التنازل بعدها .

ـ الأسلوب التنازلي : وهو قبول مطالب الخصم فوراً في سبيل إنهاء موقف الأزمة ، وتلجأ الدولة لهذا الأسلوب عندما تكون قدرتها على مواجهة الأزمة ضعيفة ، أو عندما تخشى من تصاعد مطالب الخصوم إلى درجة أكثر خطورة من الموقف الحالي .

وتلفت كورال بيل الانتباه إلى أن هناك أسلوبا ناجحاً في إدارة الصراعات الدولية ، هو تحويل ما نسميه بأزمة الخصومة إلى أزمة تنافسية محصورة ، على أساس أن هناك من يعلنون أن إدارة الأزمة يمكن وصفها بأنها أبرز

الأساليب المبشرة بالأمل في إدارة شؤون الحكم الحديثة ، ويبدو أنهم يميلون إلى افتراض أن أية أزمة دولية يمكن معالجتها بوجه عام كحالة طارئة غير مرغوب فيها ، فهم يميلون إلى تقديم الظاهرة بوصفها إحدى الظواهر التـــي يقابلها فجأة صانع القرار بلا توقع ، والتي يجب أن يتصدى لها بقدر الاستطاعة ، ولذلك ، فإن تحويل الأزمة إلـــى مجرد تنافس هو أحد أساليب إدارة الأزمات الدولية (٥٩) ٠

ويؤكد آموس برلموتر (٦٠): أن على القائم بإدارة الأزمة أن يتأكد مما يلي : أن لديه أكبر قدر من المعلومات عن الطرفين بما في ذلك أوضاعهما الداخلية ومطالبهما الخارجية ونواياهما البعيدة المدى ورغباتهما القريبة والبعيدة ، وكذلك يجب أن يكون وراءه جهازاً لجمع آخر المعلومات يزوده بها فيما يتعلق بـــالطرفين ، بحيـــث يكـــون فـــي استطاعته أن يسبق كل طرف منهما في العلم بشئون هذا الطرف ، وأن تكون أمامه دراسة لشخصية المتفاوضـــين الذين سيلقاهم والضغوط التي يتعرضون لها وعلاقاتهم مع مراكز القوى والتأثير في بلادهم ٠

وهناك مراحل إدارة أزمة أو صراع ، وتتجلى كل مرحلة من هذه المراحل في قيامها على عدد من الأساليب لإدارة الصراع أو الأزمة ، وهذه المراحل هي ثلاث مراحل يمكن أن نستعرضها على النحو التالي (٦١) :

ــ مرحلة ما قبل الأزمة : وهي مرحلة تتبلور فيها مشكلة وتتفاقم ، حتى تنتج عنها الأزمة ، لأن الأزمة لا تنشأ من فراغ ، وإنما يسبقها مشكله لا تعالج علاجاً مناسباً ٠

ــ مرحلة التعامل مع الأزمة : وهذه المرحلة هي المحور الرئيسي لمفهوم إدارة الأزمة ، حيث يتولى فريق الأزمة استخدام الصلاحيات المخولة له ويطبق الخطط الموضوعية ، كما يستخدم مهاراته المكتسبة من التدريب ، وكـــذا الاستعداد لمواجهة الأزمة ، فهي إذن مرحلة التطبيق العملي للتدابير المعدة مسبقاً للتعامل مع الأزمة ٠

ــ مرحلة ما بعد الأزمة : وهي المرحلة التي يتم فيها احتواء الآثار الناجمة عن حدوث الأزمة ، وعلاج تلك الآثار هو جزء هام من عملية إدارة الصراع أو الأزمة ، لأن الهدف الرئيسي من أسلوب إدارة الأزمة أو الصـــراع هـــو تقليل الخسائر إلى أقصى حد ممكن ، واستخلاص الدروس المستفادة من تلك الأزمة لعدم التعرض إليها مرة أخرى ٠

هذه هي بعض أساليب إدارة الصراع الدولي ٠

المبحث السادس

عناصر نجاح إدارة الصراع

هناك بعض العناصر التي قد يؤدى وجودها إلى النجاح في إدارة الصراع ، ومنها :-

- تبادل الرهائن : يعتمد هذا العنصر أساسا على نظرية الردع ويؤدى إلى سرعة وسهولة إدارة الصراع .
- المراقبة : تعنى قدرة كل من القوى المسيطرة على مراقبه كل منهما الأخرى وتقديرها للقدرات العسكرية للدول الأخرى ونواياهما السياسية ومستوى الاستعداد المتوفر لديهما ، وتبدوا أهمية ذلك في تقدم وسائل الحصول على المعلومات [٦٢] .
- التواطؤ : أو محاولة التحالف بين أكبر القوى الممكنة على حساب الطرف أو الأطراف الأخرى ، وخصوصا أن أي إدارة ناجحة لابد أن تجيب على تساؤل : كيف تتحالف مع خصم دون أن تخطيء إلى صديق أو حليف ، وهذا عنصر أساسي في تشابك العلاقات الدولية وتعدد التحالفات وكثره المعاهدات .
- تكتيكات المناورة والكتمان : تؤدى أدوارا هامة في الإدارة المعاصرة للعلاقات الدولية ، وأصبحت المفاوضات المتعددة الأطراف إحدى المحاولات الهامة من جانب أطراف الصراع لادارة ذلك الصراع .
- نظم التسلح والأبنية العسكرية : أن الحديث عن إدارة الصراع يتطلب النظر إلى قضية اختيار أنواع معينه من التسليح والأبنية العسكرية ، لتأثيرها المباشر على إدارة الصراع لكونها أسلوب للتحكم في الصراع .
- معرفة مستوى الخطر ونطاق الأزمة ، فتلعب تلك المعرفة دوراً مؤثرا في تشكيل فريق إدارة الأزمة المناسب ، والذي يسهم في معالجة تلك الأزمة ، فهناك ثلاثة مستويات للخطر تمثلها الأزمة ، وهي : أزمة خطيرة وأزمة حادة وأزمة عادية ، وتنشأ الأولى من توافر عناصر المباغتة والتهديد وضيق الوقت ، أما الثانية فهي الأزمة الحادة فيغيب عنها جزئيا المفاجأة ويتمثل فيها التهديد وضيق الوقت ، أما الأزمة العادية فتوجد فقط مع توفر عنصر التهديد للمصالح الجوهرية للأمة(٦٣).
- وكذلك لابد من تحديد نطاق الأزمة ، فقد يكون خارجيا ، وقد يكون داخليا ، وقد يكون مشتركا بين هذا وذاك .
- معرفة عوامل نجاح إدارة الأزمة أو الصراع أو تسهيل إدارتها وذلك بقيام كل طرف بتحديد أهدافه من وراء المواجهة أو تحديد الوسائل التي يستخدمها كل طرف في متابعتها ، مع أن تحديد الأهداف والوسائل ليس كافيا في حد ذاته لإدارة الأزمة دون التورط في حرب ، فينبغي على كلا الطرفين تفهم متطلبات إدارة الأزمة وأن يكونوا مستعدين للعمل طبقا لها .

ومن هذا ومن ذاك نتبين : أن نجاح إدارة الصراع يتطلب توافر عنصرين هامين :

أ. التكامل بين أساليب إدارة الصراع

ب.التنسيق فيما بين هذه الأساليب

وأن إدارة أي دولة للصراع مع دوله أو دول أخرى فأنها لا تستخدم أسلوباً واحداً ولكنهـا تسـتخدم الكثيـر مـن الأساليب في نفس الوقت ٠

ولابد من مراعاة حسن التوقيت في استخدام الأسلوب ، لأن ذلك يعتبر من العوامل الهامة لنجاح إدارة الصـراع ، وحسن التوقيت تتعدد وتتنوع من توقيت استخدام التشدد والقصر ، وحسن التوقيت لانتهاج الاستراتيجيات [٦٤] ٠

وبعــــد ......

إن إدارة الصراع الدولي ما هي إلا تطويع الإرادات لتحقيق هدف معين بشكل معين ، وتتأثر هذه الإدارة بشخصـية القائم بإدارة الصراع ، والنماذج التي يستخدمها في إدارته للصراع ، وكذا ظروف وأحوال دولته ، ثم نفس الأشياء تنطبق على الخصم أو الخصوم ، ثم تتأثر بالمتغيرات الدولية التي تسيطر على جو العلاقات الدولية التي تتحكم في أي موقف من مواقف الصراع ٠

ولإدارة الصراع لابد أن يتبنى كل طرف استراتيجيته الخاصة به في الصراع ، وبالتالي يصبح أحد المسالك إلـى تهدئه مشكله الصراع هو الاحتفاظ بالأطراف والاحتفاظ بالتعارض ، ولكن دفع التفاوض في نفس الوقت بعيدا إلـى خلفية جدول الأعمال السياسية ، لأن السعي الدائب لتحقيق الأهداف توقف ، فالصراع موجود ولم يحـل ، وبـذلك يصبح الصراع مؤجلاً ويبقى ساكنا ، فحل الصراع والسلام كضرورتين مطلقتين تعنى : غياب العنف المباشـر (أي الحرب والتفاعل المدمر) وغياب العنف البنياني (السيطرة والتفاعل الاستغلالي) ٠

والمقياس لنجاح إدارة أي صراع دولي حالياً قد يتحدد على ضوء مصلحة المجتمـع الـدولي ككـل ، فالمقـاييس والممارسات في إدارة الصراعات الدولية تجرى مضافاً إليها هذه الألفاظ المجردة مثل : السـلام ــ الاسـتقرار ــ النظام ــ العدل ــ الخ ، وذلك عندما تبدو أن النتيجة في صالح المصالح السياسية للغرب (٦٥) ٠

وعموما فإن نماذج إدارة الصراع في كل صراع هي التي تتحكم في الموقف لأن لها بصماتها الواضحة على كـل صراع ٠

وإذا نظرنا إلى أطلس الأزمات المصرية الداخلية والخارجية خلال النصف الثاني من القرن العشرين لوجدنا سـجلاً من الأزمات التي واجهت الحكومة المصرية من الأحداث الجسام ، ويمكن أن نستعرض بعضها كنموذج للأزمـات التي يمكن ان تواجه أية أمة أو شعب (٦٦):

• الأزمات الخارجية وهي : سحب تمويل السد العالي عام ١٩٥٦م ، العدوان الثلاثي وأزمة السويس ١٩٥٦م ، ثورة العراق ١٩٥٨م ، انفصال سوريا عن مصر في الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١م ، ثورة اليمن الشمالية سبتمبر ١٩٦٢م ، أزمة إغلاق مضيق تيران والعدوان الإسرائيلي ١٩٦٧م ، حرب الاستنزاف ومبادرات السلام ١٩٧٠م ، حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، اشتباكات الحدود مع ليبيا ١٩٧٧م ، مؤتمر بغداد لمقاطعة مصر عربياً ١٩٧٩م ، حادث مطار قبرص ١٩٨٠م ، غزو إسرائيل للبنان ١٩٨٣م ، تلغيم البحر الأحمر ١٩٨٥م ، حادث الباخرة أكيلي لاورو والقرصنة الأمريكية للطائرة المصرية ١٩٨٥م ، طرد العمال المصريين من ليبيا عام ١٩٨٦م ، مطالبة حكومة السودان بالرئيس السابق جعفر نميري عام ١٩٨٧م ، الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينات ، الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠م ، حرب الخليج الثانية ١٩٩١م ، وغيرها من الأزمات مثل معركة استرداد طابا ، والعدوان الإسرائيلي على لبنان ، والعلاقات مع السودان ، والأزمة السورية التركية ، والعلاقات مع قطر والحصار المفروض على ليبيا والعراق ، وأزمات الإرهاب الدولي ، وغيرها من الأزمات .

• الأزمات الداخلية : وهي عديدة شأن كل بلاد العالم ، ومنها : حريق القاهرة ١٩٥٢م ، إضراب عمال النقل العام ١٩٥٤م ، انسحاب المرشدين الأجانب من القناة ١٩٥٦م ، أزمة الإخوان المسلمين ١٩٦٥م ، إضرابات مارس ١٩٦٨م ، تهجير سكان منطقة القناة ١٩٦٨م ، وفاة عبد الناصر ١٩٧٠م ، أحداث مايو ١٩٧١م ، مظاهرات وشغب ١٨،١٧ يناير ١٩٧٧م ، أحداث سبتمبر وأكتوبر ١٩٨١م ، أحداث الأمن المركزي ، إضرابات عمال مصانع الغزل والنسيج وسائقي القطارات ، الجماعات الإسلامية المختلفة ، وغيرها ...

ويبرز هذا بشكل واضح في صراع الشرق الأوسط الصراع الصهيوني العربي وهناك نماذج عديدة لإدارة الصراع منها :

١ – نموذج بن جوريون
٢ – نموذج كسينجر
٣ – نموذج عبد الناصر
٤ – نموذج بيجن
٥ – نموذج السادات

والأخيران هما محور هذه الدراسة .

هوامش وحواشي :

١. Coral Bell: The conventions of crisis : A study in Diplomatic Management (London, Oxford Uni. - Press, 71) P : 4 .

وأيضاً راجع : د. ابتهاج مصطفى عبد الرحمن ، الإدارة الاستراتيجية ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيـــع ، ١٩٩٥م ، ص ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥

٢. د. عدنان السيد حسين ، العلاقات الدولية ، الحرب والسلم مفاهيم أساسية ، بيروت ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ١٩٩٤م ، ط١ ، ص ٤٠ .

٣. محمد نصر مهنا ، علوم السياسة : دراسة في الأصول والنظريات ، القـــاهرة ، دار الفكـــر العربـــي ، ١٩٨٨م ، ط١ ، ص ٢٧٦ .

٤. LIOYD W. SINGER & JAN REBER: A CRISIS MANGEMENT SYSTEM, SECURITY MANGMENT, N. Y. USA, SEPTEMBER 1987, PP: 8-9.

د. عبد الخالق عبد الله ، العالم المعاصر والصراعات الدولية ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم ١٣٣ ، يناير ١٩٨٩م ، ص ٦٤ ، وأيضا راجع ص ٤٨ ، وأيضاً راجع : د. عطية حسين أفندي عطية ، مجلس الأمن ، مرجع سابق ، ص٢٧ ، ٢٨ .

د. أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي ، الرياض ، دار النشر بالمركز العربي للدراســـات الأمنيـــة والتـــدريب ، ١٩٩٠م ، ص ص ٢١ــ٢٤ .

المرجع السابق ، ص ص ٢٥ــ ٢٧

يوهان جالتونـج : أزمة الشرق الأوسط ونظرية الصراع (عرض أحمد يوسف) السياسة الدولية – العدد ١٠ أكتوبر ١٩٧٢ صـــــ٢٤

٥. G.H.Snyder and P. Diesing ,Conflict Among Nation (Princeton Un. - press : 1977) P : 207

٦. J.Bernard: Study of Social conflict, in, S. Hoffman: Contemporary theory in international Relations (Prentice Hall, Inc, Englewood, 1960, P : 6 – 7 .

٧. Steve Chan : Chinese conflict calculs and Behavior : Assessment from A Perspective of conflict Management (Vol xxx, No 3, April 1978) p:391.

٨. الجنرال ج.ف.س. فوللر : إدارة الحرب ترجمة أكرم ديري (بيروت دار اليقظة العربية – ١٩٧١) صــ١٠٠

٩. يوهان جالتونـج : مرجع سابق ، صـــــــ٩٦

١٠. أمين هويدى – كيسنجر وحرب أكتوبر – الأهرام – صفحة الكتاب – عدد ٤٠٩٠٢ – في ١٩٩٨/١٢/١م صــ٤١

١١. راجع : كتاب أزمة الخليج وتداعياتها مع الوطن العربي – بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية – ١٩٩١م – صــ٢١٢

١٢. أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمة ، مرجع سابق الذكر ، ص ص : ٢٨ ــ ٢٩ .

١٣. محمد صدام جبر ، إدارة الأزمات : دراسة مقارنة ، النموذج الإسلامي والنموذج الياباني ، مسقط ، مجلة الإداري ، معهد الإدارة العامة ، السنة ٢١ العدد٧٦ ، مارس ١٩٩٩م، ص ص ٨٢ــ٨٣

١٤. المرجع السابق، صــ٢١٢ ، ٢١٣

١٥. المرجع السابق ، صــ٢٢٠

١٦. المرجع السابق ، صــ٢٤٦

١٧. **R.Tanter: Modeling and Managing inter - National Conflicts (London: Sage Pubicatisns, 74) p: 182,183.**

وراجع أيضا : كارستين هولبرايد : الدول العظمى والصراع الدولي – القاهرة – هيئة الاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة ٧٤٤ – ١٩٨١ – صــ١١٩-١٢٠ ، والذي يؤكد أنه لا يوجد شئ اسمه استراتيجية ، ولكن يوجد فقط إدارة الصراع أو إدارة الأزمة ٠

١٨. المرجع السابق ، ص ١٢١ ٠

٣٢. راجع :محمد صدام جبر، إدارة الأزمات ، مرجع سابق ،ص ٨٣ ٠

٢٤ .د٠ عباس رشدي العماري ، إدارة الأزمات في عالم متغير ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٣ م ، ط ١ ، ص ص ٤٣ ــ ٤٨

٢٥ . **James L. Richardson, Crisis Management, In, New Issues International Crisis Management, Edited By Gilbert R. Winham, U.S.A , Colorado Mestview Press Boulder & London , 1988 , P: 15 .**

٢٦ . محسن الخضري ، إدارة الأزمات : منهج اقتصادي وإداري متكامل ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٠م ، ص ١٩ ٠

٢٧ . **Jonathan M. Roberts, Decision-Making During International Crisis, London, Macmillan Press, LTD , 1988 , P: 98 .**

٢٨ د٠السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية ، القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سلسلة الألف كتاب الثاني ــ رقم ٥٥ ــ ١٩٨٨م ، ص ص ٤٠٦ــ٤٠٧ ٠

29 R.Tanter , Op Cit. : p: 121 , 188

٣٠.د٠السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية ، مرجع سابق الذكر ، ص ٤٠٠ ٠

٣١.راجع : محمد حسين هيكل ، الحل والحرب ، لبنان ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧م ، ط١ ، ص١٢٥

٣٢.راجع : د٠ عباس رشدي العماري ، إدارة الأزمات في عالم متغير ، الأهرام ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ص ٢١٤ــ٢١٩ ، وأيضاً راجع : د٠ السيد عليوه ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٤ ــ ٤١٥ ٠

٣٣.راجع : د٠ السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية ، مرجع سابق ، ص ٤٢٢، وأيضاً :لواء دكتور فاروق هلال ، دور المعلومات في عملية صنع القرار السياسي ، القاهرة ، أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، ١٩٨٧م ، رسالة دكتوراه ، ص ١٦٦

34 . R.Tanter: Op Cit. . P:189

٣٥ كارستين هولبرايد، مرجع سابق ، ص ص ١٢٤ ـــ ١٣٣

٣٦ راجع : د٠ محمد نصر مهنا ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧

٣٧ راجع : محمد إبراهيم الشاعر ، نظرية الاحتمالات في السياسة والحرب ، دمشق ، منشورات الطلائــع ، سلســلة الثقافــة الطلائعية رقم ٤ ، ١٩٧٤م ، ط٤ ، ص ص ٢ـــ٤

٣٨ المرجع السابق ، ص ١٤٣

٣٩ كارل دويتش ، تحليل العلاقات الدولية ، ترجمة شعبان محمد شعبان ، مراجعة وتقديم عز الدين فوده ، القاهرة ــ الهيئــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ٠

٤٠ **James N. Rosenan, International Politics And Foreign Policy , New York , The Free Press of Glencoe , Inc , 1961, P: 389**

٤١ راجع : د٠ محمود إسماعيل ، الصراع الدولي ، محاضرات غير منشورة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، ١٩٨١م ٠

٤٢ راجع : جرج كشمان ، لماذا تنشب الحروب ، ج ٢ ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، رقم ٢٤٣ ، ١٩٩٦م ، ص ص : ٥٩ ــ ٦٠ ، وأشكال المباريات راجعها من ص ٦٢ إلى ص ٧٩ ٠

٤٣ راجع : كارل دويتش ، تحليل العلاقات الدولية ، مرجع سابق ، ص ص : ١٥٨ ــ ١٧٨ ٠

٤٤ راجع في ذلك : د٠ السيد عليوة ، إدارة الصراعات الدولية ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٤ ــ ٤١٦ ٠

٤٥ المرجع السابق ، ص ص ٤٢٠ــ٤٢١ ، وينشر الباحث في هذه الصفحات دراسة طريقة لباحث أمريكي هو " جيمس بابر " نشرت عام ١٩٧٧م ، عنوانها (الشخصية الرئاسية) قام من خلالها بتصنيف أنماط الشخصية لرؤساء ثلاثة عشر حكموا الولايــات المتحدة الأمريكية ، وقامت الدراسة على افتراض مؤداه أن السلوك الرياسي ليس نتاج الحساب الرشيد وإنمــا هــو خلاصــة تفاعــل احتياجات نفسية عميقة لدى كل واحد من هؤلاء الرؤساء تكونت في الأصل عبر الطفولة وتجربة المراهقة الصغيرة ، ولقد بين الباحث نظريته على أساس بعدين ، الأول عما إذا كان الرئيس نشطا أم مسالماً ، بمعنى مقدار النشاط الذي يبذله الرئيس في تنفيذ المهــام السياسية ، والثاني عما إذا كان الرئيس إيجابيا أم سلبياً ، بمعنى المدى الذي يستمتع فيه بالواجبات التي يؤديها ٠

٤٦ **K.R. Leyg & J.F Morrison: Politics and the international system (New York, Harper & Row, 71) p:62.**

٤٧ راجع في هذا الخصوص : د٠ أحمد جلال عز الدين ، إدارة الصراع ، مرجع سابق ، ص٣٣ ٠

٤٨ المرجع السابق ، ص ص ٣٦ ــ ٣٧ ٠

٤٩ **C. Bell : Op. cit : p:73**

٥٠ يوهان جالتونـج : مرجع سابق ، صـــــــ٦٦ ٠

٥١ راجع : محمد مبارك ، دور المستشار في مواجهة الأزمات ، الرياض ، مجلة عالم الاقتصاد ، العدد٩١ ، يوليو ١٩٩٩م ، صص٥٦ــ٥٧ ٠

٥٢ الجنرال ج.ف. فوللر : م٠س٠ذ صـــــــ١٠١

٥٣ R.Jervis: Perceptions & Misperceptions in international politics (Princeton, Uni. press, 1976) p: 63.

٥٤ T.Schelling: The Strategy of conflict (Harvard, H. Uni.-Press, 1960) p: 237.

٥٥ Jvo , D.Duchacek : Conflict & Co-operation Among Nations (New York, Holt, R.& WINSTON , INC, 1960) P: 492,493.

٥٦ Ibid. , P: 493.

٥٧ مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع :

C.Lockhart: Problems in the Management & Resslution of international conflicts (World poli journal of intern-Relationg)(Vol xxix No 3, April 77) p.389.

٥٨ راجع : د ٠أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمات ، مرجع سابق ،ص ص ٩٢ـ ٩٣

٥٩ كارستين هولبرايد ، مرجع سابق ، ص ١٢٢

٦٠ C. Bell: Op Cit . P: 77, 78.

٦١ أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمة ، مرجع سابق ، ص ص ٣٧ ـ ٣٨

٦٢ راجع:محمد حسين هيكل ، الحل والحرب ،مرجع سابق ،ص ص١٢٥ـ ١٢٦

٦٣ راجع : د٠ السيد عليوه ، إدارة الصراعات ، مرجع سابق ، ص٤١٥ ٠

٦٤ يوسف ميخائيل يوسف : الصراع الصيني الأمريكي في جنوب شرق آسيا (رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة - عام١٩٨٢) ٠ص ٢٣٩ ٠

٦٥ راجع : كارستين هولبرايد ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ ٠

٦٦ راجع د٠ السيد عليوة ، إدارة الصراعات ، مرجع سابق ، ص ص ٤٢٢ـ٤٢٣ ٠

الفصل الثاني

الصراع العربي الإسرائيلي

الصراع العربي الإسرائيلي

هل الصراع العربي الإسرائيلي صراع مصيري دائم لا تنقطع أسبابه ؟ ٠٠أم هو صراع مصـــالح سياســية أم اقتصادية فقط ، أم مجرد أزمة عابرة أو مشكلة مؤقتة ؟ ٠٠

وهل هذا الصراع العربي الإسرائيلي صراع جوهري متعمق الجذور ؟ ٠٠أم هو مجرد صراع عرضي قد يرتبط بمعرفة مصادر القوة ومحاولة أحد الطرفين ظروف متاحة لدي الطرف الآخر ؟٠٠٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي صراع عقائدي بين الديانتين اليهودية والإسلامية ؟ ٠٠ أم أنه صراع قــومي بين القوميتين العربية والإسرائيلية ؟٠٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي صراع إقليمي محدود ؟ ٠٠ أم هو صراع دولي استراتيجي ، تتنافس من خلاله بعض القوى الدولية لاستعراض مصادر قوتها وقوة نفوذها وتجربة ترسانة أسلحتها المختلفة ؟ ٠٠٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي صراع يمكن إدارته بأسلوب المباريات أم بأسلوب الاســـتراتيجية أو بأســـلوب الردع والتهديد ؟٠٠٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي صراع قابل للتحكم فيه ؟ ٠٠ أم هو صراع تحت السيطرة المشتركة لأطــراف النزاع ولا يصل مداه إلى مرحلة الدمار لأحد الأطراف المشتركة فيه ؟ ٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي مجرد نزاع على حدود ؟ ٠٠ أم أنه نتيجة لتوتر عارض أم مســتمر ؟ ٠٠ أم إنه صراع مصيري له جذور متعمقة وأبعاد متداخلة متعددة يصعب حلها والوصول إلى نهاية ترضـــي جميـــع الأطراف ؟ ٠٠

هل الصراع العربي الإسرائيلي قابل للحل ببساطة ؟ أم أنه صراع مستمر طويل الأجل يستحيل حله ؟ ٠٠

وهل الصراع العربي الإسرائيلي مجرد صراع بسبب فلسطين ولاجئي فلسطين المشردين في كل مكان ؟ ٠٠ أم أنه صراع متعدد الأطراف والسياسات والوجوه وصعب حله ؟ ٠٠

كل هذه التساؤلات ، وغيرها من التساؤلات ، التي يفرضها نوع وطبيعة الصراع العربي الإسرائيلي وجــذوره المتعمقة ، تدعونا لتخصيص هذا الفصل ، لتناول الصراع العربي الإسرائيلي وتطوراته وصوره ومراحله ، حتى يكون ذلك مُدخلاً من مداخل معرفة كيف يتم إدارة هذا الصراع ٠٠٠

المبحث الأول

جذور الصراع العربي الإسرائيلي

تعود جذور الصراع العربي الإسرائيلي إلى الفتح العربي والإسلامي للقدس خصوصاً ومنطقة الشام عموما ، التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية ، وكانت الديانة الرسمية بها هي المسيحية ، وكانت هذه المنطقة لا وجود لليهود وجوداً رسميا ولا فعليا ، ولكن كانت لها بعض الفترات التي سادوا فيها على المنطقة وعلى القدس قبل الفتح العربي بكثير ، وكانوا تعتزون بوجود هيكل سليمان في القدس ويعتبرونها منطقة مقدسة قبل تدمير هذا الهيكل أكثر من مرة ٠٠٠

ولكن ، لم يكن هناك وجود رسمي ولا فعلي لليهود في فلسطين قبل الفتح العربي لها ، ولا بعد الفتح ، حتى بداية العقد الثاني من القرن العشرين ٠٠٠

ونبدأ بمدينة القدس بصفتها مدينة مقدسة بفلسطين ، ويدعي اليهود أنها عاصمتهم الأبدية ، فكان أول اسم عُرفت به هو (أور سلام) أي مدينة السلام ، وسماها اليهود أور شليم ، ومن أسمائها القديمة يبوس ، وكذلك تحول اسم المدينة إلى إيلياء نسبة للملك البيزنطي إيلوس هدريانوس ٠

وعاش فيها الكثير من الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا داود وسيدنا سليمان وسيدنا المسيح عيسى بن مريم وغيرهم عليهم جميعاً السلام ٠٠٠ وقد أقام سيدنا سليمان عليه السلام هيكل سليمان بالمدينة المقدسة (وهو الأثر الذي يدعون وجوده في المدينة المقدسة) ، والذي أزاله الملك نبوخذ نصر ملك الكلدانيين عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم سمح الملك الفارسي " دارا " لليهود بإعادة بنائه ، ولكن الإمبراطور الروماني هدريانوس قام بتدمير القدس والهيكل وحرثها بالمحاريث ٠ (١)

وتقع القدس على سلسلة جبال ضمن هضبة تعلو عن سطح البحر بحوالي ثمانمائة متر ، وتحيط بالمدينة عدة جبال أشهرها جبل سكويس أو جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب وجبل الطور أو الزيتون من الشرق وجبل صهيون من الغرب ٠

وتقع مدينة القدس القديمة ضمن سور يحيط بها من جميع الجهات ، ويبلغ طوله أربعة كيلومترات وارتفاعه نحو اثنتي عشر مترا ، وله سبعة أبواب كبيرة مفتوحة أشهرها : باب العمود من الشمال وباب المغاربة من الجنوب وباب سان استيفان من الشرق وباب الخليل من الغرب ، وهناك الباب الذهبي في الجهة الشرقية ولكنه غير مستخدم منذ فترة طويلة ، وقد قام ببناء معظم أجزاء السور الحالي للمدينة السلطان العثماني سليمان القانوني ٠

ومساحة مدينة القدس القديمة كيلومتر واحد ، أما مساحة مدينة القدس كلها عام ١٩٤٨م " أي قبل قيام الكيان الصهيوني في فلسطين " حوالي ٣١ كيلومتر مربع ٠

وبالقدس العديد من الأماكن المقدسة أشهرها : المسجد الأقصى ، الذي كان مقصد رحلة الإسراء للنبي محمد صلي الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالي" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" الآية الأولى سورة الإسراء ، **وأيضاً به كنيسة كبيرة هي كنيسة القيامة التي شيدتها الملكة هيلانه ملكة بيزنطة في حكم ابنها الإمبراطور قسطنطين ، وتقع وسط المدينة وتضم درب أو طريق الآلام ، وهناك كنيسة الجسمانية وكنائس وأديرة أخرى عديدة تملكها الطوائف المسيحية المختلفة .**

وكان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو نبي كريم ، قد أقام في القدس الشريفة التي دخلها وعمره ثلاثين عاماً ، وأخذ يلقي تعاليمه لإنقاذ المجتمع من الرذائل ، وكان غضبه شديدا على حماة هيكل سليمان من اليهود الذين كانوا يقومون بعمل المنكرات داخل المعبد قائلاً " إنهم جعلوا الهيكل مغارة للصوص والعصابات " مما دفعهم للتربص به ومحاولة قتله بالقدس حيث رفعه الله من هذه المدينة المقدسة إلى السماء .

وعندما فتحها المسلمون عام ١٥ هجرية ، ذهب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بنفسه ليتسلم مفاتيح المدينة ، وكتب لأهلها وثيقة الأمان الشهيرة التي عاهدهم فيها على الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وشعائرهم ، وشهد على وثيقة الأمان أبو عبيدة الجراح وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وهم قادة الجيوش الإسلامية في فتوحات أرض الشام التي كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية ، وتغير اسم المدينة من إيلياء إلى القدس أو بيت المقدس ، أي البيت الذي يتطهر فيه المسمون من ذنوبهم .

وهكذا ، يتضح أن القدس لم تكن منذ آلاف السنين موضع للحكم اليهودي ، ولا مكاناً لممارسة العبادات اليهودية ، ولا موضعاً لمعيشة اليهود .

وهذا الوضع ينطبق على فلسطين كلها ... التي عُرفت منذ زمن بعيد جداً بأرض كنعان نتيجة الموجات العربية المهاجرة إليها واستقرارها في هذه المنطقة ، ثم استوطنها اليبوسيون ، الذين يمثلون إحدى فروع قبائل كنعان ، فبنوا القدس وسموها يبوس ، وكان ذلك حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وعرفها العالم بأنها المدينة التي تفيض لبناً وعسلاً وبأنها أشهر مدن العالم قاطبة .(٢)

وحاول موسى دخول القدس ، فلم يفلح ، نتيجة غضب الله على بني إسرائيل ، ووقوع التيه في صحراء سيناء لمدة أربعين عاما ، ومات موسى وجاء من بعده يوشع عليه السلام ، فلم يستطع السيطرة على القدس ، ثم تمكن اليهود من الاستيلاء عليها في عهد يهوذا ، ولكن لم يستطيعوا الاستمرار في السيطرة على المدينة ، فخرجوا منها نتيجة مقاومة أهل المدينة الكنعانيين ورفضهم لهم لدرجة أن اليهود ، كما جاء في سفر القضاء ، أخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار .

وجاء داود عليه السلام ، فقاد اليهود لاحتلال المدينة مرة ثانية ، وجعلها عاصمة لمُلكه ، وأعاد لها اسمها أورشليم ، وبدأ داود عليه السلام في بناء الهيكل ليكون معبداً لبني إسرائيل ، ولكنه مات قبل أن يتم البناء ، فأكمله سليمان عليه السلام ، وظل اليهود في القدس طوال السبعين عاما التي قضاها داود وسليمان عليهما السلام فيها ، حتى مات سليمان عام ٩٧٥ قبل الميلاد ، فبدأ اليهود الفساد من جديد ، وساد الفسوق مملكتهم

وعبدوا آلهة متعددة ، وانقسمت مملكتهم إلى مملكتين ، وحاربت المملكتان بعضهما البعض ، مما اضطر ملك مصر " شيشق " للتدخل واحتلال القدس عام ٩٧٠ قبل الميلاد ، وجاء من بعده ملك بابل الكلداني نبوخذ نصر ، فغزا القدس عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، وقام بتدمير هيكل سليمان وأسر اليهود وأرسلهم إلى بابل ، وتمكــن مــن القضاء نهائيا على مملكة يهوذا ، ثم تمكن الآشوريون من حكم فلسطين والقدس في عهد سرجون الثاني ، كما تعرضت القدس لغزوتين كبيرتين خلال الفترة الزمنية مابين عامي ٣٣٢ و ٦٣ قبل المــيلاد الأولــى بقيــادة الاسكندر المقدوني ، والثانية بقيادة بومبي الروماني ٠

وجاء المسيح عليه السلام ، فحارب اليهود حرباً لا هوادة فيها بسبب الفساد الذي وجده ، كما أسلفنا ، ورفع شعار (الخلاص من اليهود) ، وبعد رفع السيد المسيح للملأ الأعلى ، جاء حكم هدريانوس للمنطقــة ، فقــام باضطهاد اليهود والانتقام منهم ، فدمر القدس تدميراً كاملاً ، وحطم هيكل سليمان من قواعده ، وحرث أرضها حرثاً وطردهم جميعاً منها ، وبنى الرومان مدينة جديدة تماماً أسموها إيلياء ، وجاء بعده الملك قسطنطين الذي تنصر هو وأمه الملكة هيلانة ، وواصلوا اضطهاد اليهود ومنعهم من دخول المنطقة بسبب ما فعلوه في السيد المسيح وكان ذلك في عام ٣٢٦ م(٣) ٠٠ ومن هنا ، كان آخر وجود لهيكل سليمان ولليهــود فــي القــدس وفلسطين عام ١١٧ ميلادية ، أما وجود الحكم اليهودي على فلسطين فقد انتهى عام ٩٧٠ قبل المــيلاد ، أي مما يزيد عن ثلاثة آلاف عام !!!٠

وتتواصل مسيرة الحياة واليهود لم يدخلوا القدس وفلسطين ، ولم يكن لهم وجود فعلي ، وجاء الإسلام بنــوره الساطع ، واستطاع المسلمون الانتصار على الرومان وتحرير القدس وفلسطين من بين أيدي الطغاة الرومان ، ولم يكن هناك وجود يهودي ، حتى أن وثيقة الأمان التي استلم بها عمر بن الخطاب المدينة من بــين أيــدي حكامها لم تذكر من قريب أو بعيد اليهود ، قالت هذه الوثيقة " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمين المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصــلبانهم وســقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا مــن شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بــ إيلياء معهم أحد من اليهود ٠ وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم وخلى بنعيم وصلبهم ، فهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ٠ عمر بن الخطاب ، وشهد على ذلك الشهود)

وواضح من نص عهد الأمان أن اليهود لم يكن لهم أدنى وجود في القدس ، وكذلك في فلسطين كلها ٠٠٠ بل وأعطى عمر نموذجا فذا في فتح البلاد ، لأنه للمرة الأولى تفتح القدس دون إراقة الدماء ٠٠

واستمرت القدس وفلسطين بلاداً إسلامية عربية خالصة ، حتى جاءت الحملات الصليبية على المشرق ، وذلك في عام ١٠٩٥ م ، عندما أعلن البابا أوربانوس الثاني ضرورة إنقاذ السيد المسيح من أيدي المسلمين ، وأن الله قد غفر للمنقذين ذنوبهم ما تأخر منها وما تقدم !!! ، وبالفعل بدأت جحافل الصليبيين في الوصول إلى المنطقة ، واستطاعوا احتلال القدس عام ١٠٩٩م ، بعد مذبحة مروعة ، ودمروا وأحرقوا ، ونهبوا الكثير من الأموال ، ولكن بعزيمة رجال الإسلام ، تمكنوا بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، وبعد ثمانية وثمانون عاما ، من تحرير القدس عام ١١٨٧م ، لتعود مرة أخرى إلى السيادة الإسلامية الكاملة (٤)٠٠٠

وبعد معركة مرج دابق التي انهزم فيها المماليك من العثمانيين ، انتقلت تبعية القدس للعثمانيين ، الذين استمروا على إصلاحاتهم المميزة في العمارة ، وأضافوا للقدس الكثير لتظل منارة عربية إسلامية ، واستمرت سيادتهم على القدس أربعة قرون كاملة من ١٥١٧م وحتى ١٩١٧م ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لتبدأ قصة جديدة لفلسطين والقدس٠٠

المبحث الثاني

بدء اليهود في السيطرة على فلسطين

كانت غاية اليهود وغاية الصهاينة الرجوع إلى فلسطين والعودة للقدس عاصمة مُلك سليمان عليه السلام، وإقامة دولة لليهود تمتد من النيل للفرات كما تزعم كتبهم ، فبدأ اليهود ينتشرون في العالم شرقه وغربه ، يطالبون بإقامة وطن قومي لهم ، وبدأوا تنظيم صفوفهم ، وتسللوا إلى المحافل المختلفة التي دعموها لخدمة أغراضهم ومنها المحافل الماسونية ، واستطاعوا أن يصلوا لبعض المناصب العليا في مختلف أنحاء العالم ، وخصوصاً في إنجلترا وروسيا وفرنسا وبولندا ورومانيا وألمانيا ٠

وبعد تقوية صفوفهم ، عقدوا أول مؤتمر يهودي في العالم في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧م ، برئاسة الصحفي النمساوي تيودور هرتزل ، وهو الزعيم اليهودي قائد الحملة الصهيونية الحديثة ، وباعث أمجاد اليهودية في العالم المعاصر ، وقرر المؤتمر ضرورة جمع شمل اليهود وكلمتهم في وطن يهودي له كيانه واستقلاله، وصدر عن المؤتمر تقارير حكماء اليهود ، والتي سُميت بروتوكولات حكماء صهيون ، والتي تسعى لسيادة اليهود على العالم من خلال الماسونية وتدمير المسيحية والوطن القومي لليهود في فلسطين (٥) ، وتكرر انعقاد المؤتمرات اليهودية ، وبدأ هرتزل خطوات جدية لتحقيق مآرب اليهود ، فذهب يعرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وتملك الأراضي بها مع استعداد اليهود لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك ، فأبي السلطان عبد الحميد السماح لهم بذلك ، فتوجهوا نحو إنجلترا ، وكان لهم نفوذ كبير ، فبدأت جهودهم تؤتي ثمارها ، حيث أرسل وزير خارجية بريطانيا في عام ١٩٠٣م إلى اللورد كرومر المندوب السامي في مصر يطلب مساعدة اليهود على الإقامة في شبه جزيرة سيناء (٦) ، وجزيرة سيناء جزء غال من مصر تبلغ مساحته ٨٢ ألف كيلو متر مربع ، وبدأ اليهود مع اللورد كرومر زيارة سيناء لتخير المواقع التي سيبدأون بها ، ولكنهم رأوا صعوبة كبيرة في ريها واستثمارها ، فرفض اليهود تملكها ، فعرضت إنجلترا مكاناً آخر في أفريقيا هو أوغندا ، ولكن اليهود رفضوا أيضاً وتشبثوا بفلسطين ٠

وبدأت مرحلة جديدة من مراحل إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، عندما شبت الحرب العالمية الأولى وانضم الأتراك إلى الألمان ضد بريطانيا وحلفائها من فرنسا وغيرها ٠

ولكن اليهود لم ييأسوا ، حتى حصلوا على وعد من الحكومة البريطانية بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، رغم تعهد بريطانيا للشريف حسين باستقلال البلاد العربية عقب الحرب العالمية الأولى ، ولذلك صُدم العرب بتصريح بلفور الذي وجهه المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى اللورد روتشيلد اليهودي في الثاني من نوفمبر من عام ١٩١٧م ، وجاء فيه (يسرني جدا أن أُبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية ، وقد عُرض على الوزارة وأقرته : أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ٠٠٠ على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع

بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن بفلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى) ٠٠٠

وهكذا ، بدأ الوجود الفعلي لليهود في فلسطين عقب وعد بلفور ، الذي توج بإعلان قيام الدولة اليهودية ٠٠٠ فعقب تصريح بلفور بدأت الهجرات اليهودية المتعاقبة إلى فلسطين ، بعد أن وضعت فلسطين تحت السيادة البريطانية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فكانت هناك موجتين رئيسيتين من الهجرات اليهودية ، الموجة الأولى١٨٨٢ــ ١٩٠٣م ، وهاجر فيها مابين ٢٥ــ٣٠ ألف يهودي ، والموجة الثانية مابين عامي ١٩٠٤ــ١٩١٤م ، وهاجر فيها مابين ٣٥ــ٤٠ ألف مهاجر يهودي ، ثم فتحت فلسطين أمام اليهود بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد وضعها تحت الانتداب الإنجليزي (٧)، وكان أول حاكم عام إنجليزي لفلسطين هو السير هربرت صمويل اليهودي من عام ١٩٢٠ ــ ١٩٢٥ ، كما أن نائبه كان يهودياً أيضاً وهو المستر نورمان بنتوتش الذي كان يسيطر على التشريع والمحاكم ، كما سيطر اليهود على المناصب الرئيسية في فلسطين تحت الانتداب ٠٠٠

وقام الإنجليز بفتح باب الهجرة على مصراعيه أمام اليهود (٨)، كما قامت الوكالة اليهودية بزعامة روتشيلد وغيره بشراء الأراضي التي يُطرد العرب منها على الفور ولا يعملون فيها ويحل محلهم عمال من اليهود ٠٠

وبدأ عدد اليهود يزداد تدريجياً في فلسطين ، وازداد الوضع تحسناً لليهود بتعيين ونستون تشرشل وزيراً للمستعمرات الإنجليزية ، الذي أصدر بياناً في شهر يونيو ١٩٢٢م يعلن فيه تكوين طائفة لليهود في فلسطين ، وأنه لا ضرر من ذلك ، ولا يعني ذلك فرض الجنسية اليهودية على أراضي فلسطين إجمالاً ، بل يعني ذلك زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في أنحاء العالم حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية ٠

كما لم تلتزم إنجلترا بميثاق عصبة الأمم ، بعدم إعطاء فلسطين حكماً ذاتياً ، وذلك من أجل تمكين اليهود من الحصول على الأغلبية في فلسطين نتيجة الهجرة اليهودية ، التي ساعدتها إنجلترا بكل الوسائل ، حتى يستطيعوا اكتساح فلسطين كلها ٠٠٠

وبدأت عملية الاستيلاء الحقيقي على فلسطين بتشكيل لجنة دفاع يهودية في مارس ١٩٢١م تضم كلا من إسرائيل شوهات والباهو جولومب وجوزيف باراتز وحاييم ستورمان وليفي أشكول ، التي ذهبت إلى فيينا لشراء أسلحة وشحنها إلى اليهود في فلسطين من خلال صفقات تجارية تُخبأ فيها هذه الأسلحة مثل خلايا النحل والثلاجات والمحولات التجارية وغيرها ، وكانت هذه الأسلحة عبارة عن مسدسات وقنابل يدوية ورشاشات (٩)٠

وبدأت التنظيمات العسكرية اليهودية الإرهابية داخل فلسطين بإنشاء تنظيم الهاجانا ، التي عملت على جلب الأسلحة لليهود بمختلف الطرق والوسائل ، وكذلك تدريب شباب اليهود تدريباً عسكريا على استخدام الأسلحة قبل هجرتهم إلى فلسطين ، وواصلت تلك المنظمة ، مع المنظمات الأخرى مثل الوكالة اليهودية واليشوف

والأرجون وشتيرن والبالماخ الخ ٠٠ ، الحصول على الأسلحة وتزويد اليهود بها في فلســطين ، والإعــداد العسكري للشباب للدفاع عن الدولة اليهودية المنتظرة ٠

هذا بالإضافة إلى قيام اليهود في مزارعهم الجماعية ، التي أقاموها في فلسطين وأطلقوا عليها اسم الكيبوتزات ، بإنتاج القنابل اليدوية ومدافع المورتار والرشاشات والقذائف ، تدعيماً لقدرتهم العسكرية ، وساعدت النساء الرجال في العمل في الزراعة وصناعة الأسلحة ، واستخدمتها المنظمات اليهودية في نقل الأسلحة لأنهن غيــر معرضات للتفتيش من جانب رجال البوليس البريطاني ٠

واستمرت الهجرة اليهودية واستمر شراء اليهود للأراضي ، كما ازداد ســلطان اليهــود ، فقــاموا بتحصــين مستعمراتهم داخل فلسطين ، حتى أن اليهود بدأوا يبطشون بالعرب وبالإنجليز في أرض فلسطين ، انطلاقاً من مبدأ أنه لا يوجد مكان لكلا الشعبين اليهودي والفلسطيني في فلسطين (١٠) ، مما جعل إنجلترا تُسلم فلسطين لليهود وتُنهي انتدابها عام ١٩٤٨م ٠٠

المبحث الثالث
إعلان قيام الدولة اليهودية
وبدأ مراحل الصراع العربي الإسرائيلي

مع انتشار اليهود داخل أراضي فلسطين ، بالترهيب والترغيب ، وإحساس العرب بالخطر الداهم من التغلغل الصهيوني في أراضي فلسطين ، وأدي ذلك للتكاتف العربي ، وقيام جامعة الدول العربية بعد توقيع بروتوكولات الإسكندرية في ٧ أكتوبر عام ١٩٤٤ م والتوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥م ، وقرر ملوك ورؤساء الدول العربية في أول قمة عربية التي عُقدت في قصر زهراء إنشاص يومي ٢٨ ، ٢٩ مايو ١٩٤٦م " أن قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم وإنما هي قضية العرب جميعاً وأن فلسطين العربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها " وهذا يدل على الوعي العربي بما يحدث في فلسطين ٠٠٠

وسرعان ما صدر قرار الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م (١١) بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، مما أثار احتجاج عرب فلسطين ، فثاروا ثورة كبيرة ، استمرت لمدة طويلة ، وقرر العرب دخول الجيوش العربية لفلسطين بقيادة الملك عبد الله ملك الأردن ، وذلك لتحريرها من أيدي الصهاينة ، بعد أن أعلنت إنجلترا انتهاء الوصاية البريطانية على فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٥م وتسليمها لليهود مدينة حيفا وزحف اليهود على القدس ، واستطاعوا السيطرة على القدس الجديدة ، بينما بقيت القدس القديمة تحت سلطة الأردن في ذلك الوقت ، ورغم وقوف العوامل الدولية والعسكرية ضد الجيوش العربية ، إلا أنها استطاعت تحقيق بعض الانتصارات ، حتى طلبت القوى الكبرى هدنة للجيوش المتحاربة ، وفي أثنائها تم تصحيح أوضاع الجيش الإسرائيلي ليتفوق على الجيوش العربية ، وتبدأ نكبة فلسطين ، بهزيمة عسكرية للجيوش العربية عام ١٩٤٩م ، وهي ستة جيوش عربية (مما يؤكد الصراع العربي الإسرائيلي شكلاً ومضموناً) لأسباب عديدة منها (١٢) :

ـ الهدنة التي كانت في صالح تنظيم صفوف الجيش اليهودي وامداده بسيل من الأسلحة والطائرات ، والتقاط الأنفاس من أجل القضاء على التنسيق العربي ضد اليهود ٠

ـ تقاعس الجيش الأردني تحت قيادة جلوب الإنجليزي في الوصول للأهداف المحددة مُسبقاً في خطة الهجوم ، رغم أن القيادة العليا للجيوش العربية كانت تحت إمرة الملك عبد الله ملك الأردن ٠

ـ قضية الأسلحة الفاسدة التي تم تسليح جيش مصر بها ، والواقع فعلياً تحت سيطرة الإنجليز ، مما أعاق مواصلة تقدمه نحو الانتصار على الجيش اليهودي في فلسطين ، وعرَّض الجيش المصري لورطة كبرى ٠

ـ الانسحاب العسكري الأردني المفاجئ من مدينتي اللد والرملة ، وبهما أكبر المطارات في فلسطين وهو مطار الشرق ، واللد ملتقى سكك حديد فلسطين وخط حديد الحجاز ، مما أدى إلى استيلاء إسرائيل عليها بسهولة ودون مقاومة ، مما أعطى اليهود بُعداً استراتيجياً هائلاً ٠

ولعل هذه الخطوة أدت إلى انكشاف جناح الجيش المصري الذي كان يزحف من الجنوب للشمال معتمداً على معونة الجيش الأردني في اللد والرملة ، مما عرضه لكارثة عسكرية كبرى ، كما لم يستطع الجيش العراقي الذي يزحف من الشمال للجنوب من التقدم لمعاونة الجيش المصري ، مما دعا الجيش العراقي للانسحاب لمنطقة طولكرم الفلسطينية ٠

ـ دخول المرأة اليهودية بجانب الرجل في المعركة، ومشاركتها في حرب الاستقلال اليهودي ، حيث كان لدي الهاجانا وحدها ١٠ عشرة آلاف مجندة من بين قوات الهاجانا التي وصل عددهم إلى نحو خمسين ألفاً ٠

ـ تواطؤ بعض الدول وعلى رأسها إنجلترا وأمريكا للقضاء على ما تبقى من فلسطين وإعطائها لليهود ، ومساعدتهم بالمال والسلاح والذخيرة ، والعبث بالوصاية على فلسطين ، مع السيطرة الفعلية على الدول العربية

ولعل هذه بعض الأسباب الحيوية التي جعلت الجولة الأولى والأساسية من الصراع العربي الإسرائيلي تكون في غير صالح العرب ، لأنها ساهمت بجلاء في قيام الدولة اليهودية واستقرارها على كامل أرض فلسطين ٠

ومن المعروف أن العمليات الحربية توقفت في ٧ يناير ١٩٤٩م ، وتم توقيع اتفاقية الهدنة بين مصر والدولة اليهودية وضعت بمقتضاها منطقة قطاع غزة تحت الإدارة المصرية (١٣)٠٠٠

وليبدأ الصراع العربي الإسرائيلي في الظهور كصراع دائم ومصيري ، وخصوصاً بعد حرب ١٩٤٨م التي خرجت منها مصر في حالة داخلية قريبة من الانفجار مما نتج عنها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ونشأت حالة توتر دائم في الشرق الأوسط ٠

المبحث الرابع

جولات متعددة للصراع العربي الإسرائيلي

بدأ الصراع الدائم والمصيري بين إسرائيل والدول العربية منذ قيام الدولة اليهودية في ١٥ مايو ١٩٤٨م ، وفشل القوات العربية في القضاء على الحُلم اليهودي الصهيوني مُبكراً ، مما ساعد على قيام ونمو كيان سياسي دولي رسمي لليهود في فلسطين ، وعدم اعتراف العرب بشرعية وجود هذا الكيان ، مما أدى لاندلاع الصراع بين العرب والدولة اليهودية أو الصهيونية ، وبدأت الجولات تتعدد ، ومن جولات هذا الصراع نستعرض في عُجالة ، للإحاطة فقط دون تحليل أو تمحيص ، لأن ذلك مجاله في دراسات أخرى ٠

الجولة الثانية : حرب ١٩٥٦م :

دور إسرائيل في حرب ١٩٥٦م وهو ما سُمى بالعدوان الثلاثي يأتي تأكيدا لما نشره موسى هيس (١٤) من أن إسرائيل قد تم تعيينها لتقوم بدور الدولة الحارس الذي يمكن الاعتماد عليها في معاقبة دولة أو عدة دول من جيرانها العرب يتجاوز سوء تصرفاتهم تجاه الغرب الحدود المسموح بها ٠٠٠

ويتجلى هذا الموضوع في حرب ١٩٥٦م ، فهي بين مصر وإنجلترا وفرنسا ، وهي الدول التي تهمها قناة السويس محور المشكلة ، بسبب تأميم عبد الناصر لها ، ولكنها كانت فرصة لإسرائيل لتحقيق حلم هرتزل (من النيل للفرات هذه حدودك يا إسرائيل)، فتحالفت مع القوتين الأعظم آنذاك ، إنجلترا وفرنسا ، لتأديب مصر وعبد الناصر ، وبدأت بالإنذار ثم العمليات الحربية على منطقة القناة ، وما صاحبها من انسحاب الجيش المصري من سيناء والدفاع والمقاومة المستميتة من مصر على خط المقاومة في بورسعيد والقناة ، ثم الانتصار الدولي الهائل لمصر على العدوان وانسحاب القوات المعتدية من على أرض مصر ومن بينها القوات الإسرائيلية التي انسحبت إلى ما بعد منطقة غزة الفلسطينية ٠

وفي هذه الجولة من الصراع ، نجد الجيش الإسرائيلي يهجم على سيناء ، التي انسحب منها الجيش المصري ، حتى لا يقع في مصيدة بين قوات التحالف الإنجليزية الفرنسية من ناحية القناة ، وبين القوات الإسرائيلية القادمة من شرق سيناء (١٥) ، والتي وصلت بالفعل لمعظم أنحاء سيناء ، ولكنها لم تصل للساحل الشرقي لقناة السويس فلقد بدأت إسرائيل هجومها على الدفاعات المصرية المتقدمة مع إرسال جنود المظلات وراء الخطوط المصرية في متلا ورأس النقب والكونتلا والقسيمة حتى تحقق نصراً عسكريا ، رغم صدور أوامر انسحاب الجيش المصري إلى غرب القناة (١٦) ، ولكن لم تحقق إسرائيل انتصاراً عسكريا ، لأنه سرعان ما انسحب للحدود الدولية ، بناءً على القرار الدولي للأمم المتحدة في ٥ نوفمبر ١٩٥٦م والذي قرر إنشاء قوات طوارئ دولية على حدود سيناء وفي شرم الشيخ وغزة وخليج العقبة ، وكان ذلك بمثابة انتصاراً استراتيجياً وسياسياً لمصر والعرب (١٧) ٠

وبالفعل تم الانسحاب الإسرائيلي الكامل من منطقة سيناء في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م ٠

الجولة الثالثة من الصراع : حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧

كانت تلك الحرب هي الجولة الثانية بعد إنشاء الدولة العبرية ، وبدأت تلك الجولة بحرب كلامية متبادلة بين دمشق وتل أبيب في مطلع ربيع عام ١٩٦٧م ، حتى تأزم الموقف بينهما وترددت أنباء ومعلومات عن وجود حشود إسرائيلية ضخمة على حدود سوريا ، فبادرت مصر إلى الوقوف بجانب سوريا محاولة منع التهديد الموجه إليها ، فقامت بحشد القوات المصرية على عجل في مايو ١٩٦٧م في شبه جزيرة سيناء ، وقامت أيضاً بإغلاق مضايق تيران وأنهت مهمة قوات الطوارئ الدولية ، فاندلعت نيران الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة في صباح يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م (١٨) ، وقامت إسرائيل بمباغتة الدول العربية الثلاث مصر وسوريا والأردن ، وقامت بتدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات العسكرية ، مما شلّ قدرة الجيش المصري ، ودعا قادته إلى إصدار أوامرهم بالانسحاب من شبه جزيرة سيناء ، أدى التخبط في القرارات إلى الانسحاب الغير منظم ، في سرعة عجلة ، مما ساعد إسرائيل على محاصرة الجيش المصري ومحاولة إبادته في سيناء ، كما أن هناك أسباباً أخرى للهزيمة أو النكسة تتمثل في(١٩)أن سلاح الجو المصري كان بدون دفاع وبدون رادار وكانت هناك حالة من التراخي بين ضباط تشغيل أجهزة الرادار ، كما كان القائد العام للقوات المسلحة المصري في الجو في طريقه للتفتيش على القيادات في سيناء وصدرت الأوامر لوحدات الدفاع الجوي المصرية بصفة خاصة بعدم فتح النيران دون الحصول على إذن خاص ، وغيرها من الأسباب التي أتاحت لإسرائيل وساعدتها على تحقيق نصر عسكري ضخم ، واحتلال مناطق مُهمة من الأراضي العربية وهي : شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية لنهر الأردن والقدس الشرقية وقطاع غزة ٠

وكانت تلك الجولة من الصراع العربي الإسرائيلي مؤلمة بالنسبة للعرب ، الذين نالوا هزيمة كبيرة ، ساعدت على ترسيخ أقدام الدولة اليهودية في فلسطين ، وبدأ تنفيذ أحلامها من النيل للفرات كأرض لإسرائيل ، وكذلك كان من نتيجة هذه الجولة قيام حملة دعائية عالمية ضخمة تُمجد إسرائيل ، وتناهض العرب ، وساهمت تلك الجولة في انهيار الحُلم العربي بإزالة دولة إسرائيل من فلسطين ، وأصبح الاهتمام باستعادة الأراضي العربية المغتصبة من مصر وسوريا والأردن ، رغم اجتماع رئيسا الولايات المتحدة الأمريكية جونسون والاتحاد السوفيتي كوسيجين في جلاسبورو بعد وقف إطلاق النار يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧م وقرارهما بكبح جماح الأطراف المتحاربة وتنسيق جهودهما والذي انتهي إلى فرض حالة تُسمى: حالة اللاسلم واللاحرب على المنطقة (٢٠)، وبدأت السواعد العربية تعمل من أجل :

ـ العمل السياسي لاستعادة الأرض العربية المغتصبة ، من خلال مبادرات الأمين العام للأمم المتحدة ، وجهود الولايات المتحدة الأمريكية ، بناءً على نص قرار الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧م والذي نص على عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة ، ودعا إسرائيل للانسحاب من أراضي الاحتلال في حرب ١٩٦٧م ٠

ـ بدء الاستعدادات العسكرية لتحرير الأرض العربية بالقوة المسلحة ، بناءً على شعار (ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) ، فبدأت صفقات السلاح تتوالى في الوصول لمصر وسوريا ، وبدأت عملية تنظيم الصفوف وإعادة بناء الجيوش العربية من جديد ، بالاستفادة من أخطاء الماضي ، وإقامة حائط الصواريخ المضادة للطائرات على طول خطوط المواجهة مع إسرائيل ، وبدء عمليات حرب طويلة الأمد مع إسرائيل ٠

ـ تنقية وتدعيم الصف العربي ، للوقوف بقوة أمام الخطر الداهم الذي يهدد الأمة العربية ، بعد الانقسامات العديدة في الصف العربي ، بسبب حروب اليمن ، والانقسامات في الصف العربي بين معسكرات الثورة والإصلاح والرجعية أو المحافظة ، وغيرها من العوامل التي أدت لتمزيق الصف العربي ، وكان مؤتمر القمة العربي في الخرطوم في نهاية عام ١٩٦٧م بداية صحيحة ورائعة للتضامن العربي ، وتلاه خطوات طيبة لدعم وحدة وقوة العرب ٠

ـ عدم استسلام مصر أو الأمة العربية أمام هذه الهزيمة المُفاجئة ، وبدأ الاستعدادات لتحرير التراب العربي من بين أيدي إسرائيل ، وبدء عمليات الرد على إسرائيل في داخل الأراضي العربية المحتلة ، مثل معركة رأس العش وجزيرة شدوان وإغراق المدمرة إيلات وعملية البلاح ولسان التمساح وعمليات زرع الألغام في عمق سيناء وغيرها ٠٠٠

ولذلك ، لم تستطع إسرائيل تحقيق أحلامها من وراء سيطرتها على الأراضي العربية في حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧م ، وبذلك ، لم تجنى نتيجة نصرها الكبير على العرب في تلك الجولة من الصراع ، ألا وهو استسلام العرب لها وعجزهم عن مقاومتها ٠

المبحث الخامس

جولة السادس من أكتوبر ١٩٧٣م

بدأت الجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي في تمام الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهـر يـوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، عندما أتمت القوات المصرية والسورية استعداداتها لبدء حرب التحرير والكرامة ، وكان الهدف من بدء العرب لهذه الجولة من الصراع يكمن في (٢١) تحدي نظرية الأمن الإسرائيلي وذلك عن طريق عمل عسكري حسب إمكانيات القوات المسلحة يستطيع أن يُلحق أكبر قدر من الخسائر بالعدو وإقناعـه بأن مواصلة الاحتلال للأراضي العربية يفرض عليه ثمناً لا يستطيع دفعه ، فبدأ ٤آلاف سلاح مصـري يطلـق نيرانه مرة واحدة على النقاط الإسرائيلية الحصينة فوق الضفة الشرقية لقناة السويس على خط بارليف ، الذي أقامته إسرائيل لحماية أمنها ووجودها في سيناء واحتلالها هذه الأرض المقدسة منذ ١٩٦٧م ، ولقد كانت كل أفعال إسرائيل ، من إقامة المستوطنات داخل سيناء ، ومن إقامة تحصينات خط بارليف علـى طـول الضـفة الشرقية لقناة السويس ، بما تضمنه من خط النابالم على طول مياه القناة (٢٢) ، يثبت أن إسرائيل أعدت العدة للاستمرار طويلاً في سيناء ، ولكن بدأ الهجوم المصري ، بالتوافق مع الهجوم السوري ، في تلـك اللحظـة ، التي أحالت حياة الإسرائيليين إلى جحيم ، بسبب قيام ٢٥٠ طائرة حربية مصرية بطلعات جوية متتاليـة ضـد قوات العدو في الضفة الشرقية للقناة وضد مؤخرة القوات الإسرائيلية ومراكز القيـادة الإسـرائيلية ومواقـع صواريخ هوك ومواقع الرادار ومواقع التشويش والاتصالات الإلكترونية وضد مطارات المليز وبئـر الثمـادة والشور ، وضد القواعد إسرائيلية في بئر جفجافة وناسا (٢٣) ... ، وضيعت الوهم الجميل الذي كان يعيشه اليهود بالتمكن من سيناء بجانب فلسطين ، وضياع السيطرة العربية نهائيا من الأراضي التي بحوزة إسـرائيل ...

وفشلت الطائرات الإسرائيلية التي سُميت بذراع إسرائيل الطويلة ، أي التي تستطيع الوصول إلى أي مكان تريده إسرائيل ، في تحقيق أهدافها ، حيث لم تستطع هذه الطائرات عبور المجال الجوي لقناة السويس ، وتسـاقطت بفضل شبكة الدفاع الجوي الضخمة التي أقامتها مصر على امتداد طول القناة ، حيث أقامت مصـر ، ضـمن استعداداتها لمعركة التحرير شبة من صواريخ الدفاع الجوي أرض جو من طراز سـام بأنواعـه المختلفـة ، باستخدام التقنيات الإلكترونية الحديثة ، فسُميت تلك الشبكة الهائلة للدفاع الجوي المصري بالغابة الكثيفة مـن الصلب ، كما سُميت في الصحافة العالمية بحائط الصواريخ الرهيب ، حتى أن جولدا مـائير(٢٤) قالـت فـي الكنيست الإسـرائيلي عن هذه الشبكة (إن الصواريخ المصرية كعش غراب مشئوم كلما ضربنا إحداها نبتـت الأخرى) ، وكذلك كانت المقاتلات المصرية والطيارين المصريين في طائراتهم الاعتراضية والقاذفة ، أبطـالاً صنعوا النصر وحموا سماء مصر من الانتقام الإسرائيلي ، وحموا الجنود المصريين في مختلف الأسلحة ، من الحرب المضادة التي شنتها إسرائيل ، فكانت الدرع الواقي لمصر وللقوات المسـلحة المصـرية(٢٥) ، التـي عبرت الحاجز المائي لقناة السويس ، وتغلبت على أنابيب النابالم التي كانت ستحيل مياه القناة إلى جحيم مـن

النيران الفتاكة ، ثم عبروا حائط بارليف الحصين بنقاطه الحصينة القوية ، واستولوا في ست ساعات على زمام المبادرة من الإسرائيليين في ملحمة عسكرية يصعب تكرارها في نفس الظروف ونفس الموقف .

كانت تلك بداية الجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي ، التي خدع العرب فيها إسرائيل والمخابرات الإسرائيلية والأمريكية ، فعجزوا عن توقع ومعرفة موعد المعركة ليقوموا بضربة وقائية ، واستطاع المصريون في هذه الجولة ، ومعهم السوريون ، في تحريك القضية والصراع من حالة الاستقرار باحتلال الأراضي العربية ، إلى حالة من الاهتمام الدولي الشديد بجذور الصراع ، واستطاعت القوات المصرية عبور قناة السويس ، واقتحام خط بارليف المكون من ٢٢ موقعاً حصيناً والذي يضم ٣١ نقطة قوية تبلغ مساحة كل منها حوالي ٤ آلاف متر مربع ، وإلى الخلف من خط بارليف كان هناك خطاً دفاعيا ثانياً يبعد عن خط بارليف بحوالي ٣٠٠ ــ ٥٠٠ متر ويتركز في الاتجاهات الأكثر صلاحية للعبور ويأتي خلفهما بسافة من ٣ ــ ٥ كيلومترات خط دفاع ثالث يتحكم في الاتجاهات المؤدية للطرق الرئيسية والممرات (٢٦) ، وتحرير جزء من سيناء ، وإحراز نصر عسكري كبير ضد قوات إسرائيل العسكرية ، وكذلك قامت القوات السورية بنفس العمل في الجولان ، إلا أنها لم تستطع الصمود أمام الهجوم المضاد الذي شنته القوات الإسرائيلية ضدها ، مما جعلها تنسحب من أغلب هضبة الجولان مرة ثانية ، ولكن في الإجمال أن مصر وسوريا ، بمساندة القوات العراقية ، وقوات رمزية سودانية وكويتية وعربية ، شنت هجوماً على طول الجبهتين ، بعد أن حشدت أكبر عدد ممكن من القوات ، لكي يعطي العرب لهجومهم قوة لم يسبق لها في ميادين الحرب في الصراع العربي الإسرائيلي(٢٧).

وحاولت إسرائيل أكثر من مرة إجهاض هذا الانتصار العظيم الذي حققه العرب ، وذلك باختراق جبهة القتال والعبور المضاد لقناة السويس والالتفاف حول الجيش الثالث الميداني المصري ومحاولة حصاره لجعل مصر تستسلم وتنسحب من سيناء ، ومحاولة إسرائيل الاستيلاء على مدينة السويس المصرية لتأكيد انتصارها ، ولكن فشلت إسرائيل في تحقيق أحلامها ، لأن جيشها هو الذي كان محاصراً وسط الجيش المصري بالمقاييس العسكرية ، ولم تُسهم هذه المحاولات سوى فشلاً ذريعاً للجيش وللحلم الإسرائيلي ، وسرعان ما انسحبت إسرائيل من تلك المنطقة ، بل ومن كل سيناء نتيجة هزيمتها الكبيرة في حرب أكتوبر ١٩٧٣م .

ويكفي في هذه الجولة سقوط أسطورة الجيش الذي لا يقهر (التي روجتها إسرائيل عن جيشها بعد معركة يونيو ١٩٦٧م) ، وذلك بانتصار عسكري مدوي للقوات العربية (المصرية والسورية)(٢٨) ، وأثبتت هذه الجولة الثالثة من الصراع العربي الإسرائيلي العديد من الحقائق التي وضحت للجميع (٢٩) :

ــ فشل نظرية الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة المسلحة ، وأن القوة المسلحة لا يمكن أن تحمي أمنا ، ولا يمكن أن تحمي احتلالاً ، وأن النصر العسكري الذي حققته إسرائيل عام ١٩٦٧م هو نصر زائف وغير حقيقي ، ومجرد حادث عارض في تاريخ الأمة العربية وفي تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، ولا يمكن التوقف للبكاء أمامه أو إعطاؤه أكثر من حقه .

ـ عدم شرعية الاستيلاء على أراضي الغير وتحويل ذلك الاحتلال لأمر واقع بالقوة المسلحة ، لأن ذلك ضد مبادئ القانون الدولي (٣٠) ، وضد إرادة الشعوب المستقلة ٠

ـ نجاح المبدأ المصري والعربي القائل بأن ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، ونجاح تطبيقه على مستوى واسع ، وأن الصراع العربي الإسرائيلي في ظل الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية تجمد نتيجة مبادرات السلام وانتهي الأمر إلى تجميد القضية (لا سلم ولا حرب) وبالتالي ضرورة استخدام القوة لتحريك القضية ٠

ـ أن حقوق شعب فلسطين صاحب الأراضي المغتصبة لا يمكن أن تموت أو تندثر مهما مضت الأيام ، ومهما كانت الإجراءات ، ومهما توالت الانتصارات الإسرائيلية ٠

ـ أن الهجوم المضاد لامتصاص النصر الكبير ، مهما حقق من أشكال خادعة للرأي العام الداخلي والدولي ، لا يمكن أن يؤثر في النصر العسكري الكبير الذي حققته القوات المصرية والعربية ، والذي فرض أمور جديدة على واقع خريطة المنطقة ، لا يمكن تجاهلها سياسيا ولا عسكريا ٠

ـ أن الترابط والدعم العربي ، والعمل العسكري الموحد ، هو السبيل الوحيد ، للقضاء على التفوق العسكري الإسرائيلي ، لأن تضافر القوى العربية يؤدي لخلق واقع جديد على المنطقة بأسرها ٠

ـ أن إرادة الشعوب والأمم لا يمكن قياسها بنتائج جولة واحدة من الصراع ، ولا يمكن تجاهلها نتيجة هزيمة قاسية أو عارضة ، بل إن إرادة الأمم والشعوب أقوى من أن تهزم ، وفوق كل اعتبار ، ولا يمكن فرض سياسة الأمر الواقع بالقوة المسلحة ٠

ـ كما أكدت حرب أكتوبر أن الاحتلال لا يضمن تأمين التجارة لإسرائيل ، حيث أن إسرائيل قد ادعت أن في استمرار احتلالها لسيناء ما يضمن تأمين تجارتها في خليج العقبة والبحر الأحمر عن طريق التحكم في مضايق تيران ، وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣م لتثبت العكس لهذه النظرية الخاطئة ، حينما لم تقف قناة السويس ولا خط بارليف حائلاً ضد العبور ، كما لم يشفع لإسرائيل احتلالها ولتحكمها في مضايق تيران حينما قامت القوات البحرية المصرية بإغلاق مضيق باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر ، مما منع التجارة الإسرائيلية من عبور البحر الأحمر متجهة لإسرائيل(٣١) ٠

ـ تزايد الشعور بالحاجة إلى السلام لقضية ولصراع الشرق الأوسط ، وذلك لتزايد إدراك العرب والإسرائيليين على حد سواء لفداحة نتائج استمرار الصراع ، بين العرب وإسرائيل ، وذلك بسبب التكاليف الباهظة للحرب وعدم قدرة أي طرف من أطراف الصراع التمكن من حسمه لصالحه بسهولة ، بالإضافة إلى تأرجح كفة الصراع بين العرب وإسرائيل طوال جولات الصراع٠

ـ بدء عملية السلام بنهاية هذه الجولة ، من حيث البدء في التفاوض المباشر حول فك اشتباك القوات العسكرية المتداخلة بين صفوف الجيوش العربية والإسرائيلية (مفاوضات الكيلو ١٠١ بين القاهرة والسويس ، بعد اختراق القوات الإسرائيلية لصفوف الجيش المصري) ، مما يعكس الرغبة الفائقة من التخلص من ويلات الحرب ، والبدء في مرحلة السلام بين العرب وإسرائيل ٠

ـ ضرورة الاستفادة من الدروس والتجارب والمحن التي تمر بالدول والأمم والشعوب ، وعدم تكرار أخطاء الماضي ، فلقد استوعب العرب عموما ، ومصر وسوريا على وجه الخصوص دروس نكسة يونيو ١٩٦٧م ، وحولوها إلى تجربة فريدة ، للتغلب على السلبيات في مجال التنسيق العسكري ، والاستعداد النفسي والتقني والإلكتروني ، والإعداد الجيد سياسياً وعسكريا للحرب ، التي فازوا بها في النهاية ٠

وهكذا ، انتهت الجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي بتوازن عسكري وسياسي جديد للقوى في المنطقة بين طرفي الصراع العرب من جهة وإسرائيل من جهة أخرى ٠

ـ أن العرب قوة هائلة لا يستهان بها في عالم اليوم ، وذلك إذا توحدت كلمتهم ، وتضافرت عزيمتهم ، وتواصلت راياتهم ، ووضحت نواياهم ، وقويت شوكتهم ، واستغلوا قوتهم المتعددة ، وتواصلت حدودهم ، وكبرت أحلامهم ، وانتهت خلافاتهم ، وتصاعدت هِممهم ، ولذلك ، كان للعرب كلمة مسموعة قبل الحرب وأثنائها وبعدها ، كانت كلمتهم قوية وعزيمتهم أكيدة في وحدة الصف العربي ووحدة الكلمة العربية ووحدة العمل العربي المشترك ، ووحدة العمل العسكري ، ووحدة القرار السياسي بمنع البترول العربي عن الشعوب المعادية ، ولذلك ، حقق العرب بقيادة مصر نصراً عسكريا مدويا وأرضية سياسية واسعة في العالم المعاصر ٠

ولكن هل فعلاً انتهى الصراع بين العرب وإسرائيل بنهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، وبدء عملية السلام في المنطقة ؟

الإجابة الصريحة هي لا ٠٠٠ نعم٠٠٠ لا ٠٠٠

فالصراع العربي الإسرائيلي مازال مستمراً حتى الآن !!!

ونستطيع أن نرصد بعض الظواهر تؤكد استمرار الصراع العربي الإسرائيلي وعدم انتهاؤه ، فيما يلي :

ـ فرغم السلام بين مصر وإسرائيل وتطبيع العلاقات بينهما ، إلا أن السلام بينهما مازال سلاماً فاتراً ، ولم يصل إلى مستوى شعبي أو على مستوى متكامل ، بل هو سلام دبلوماسي سطحي على كافة المستويات وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠٠٠

ـ ورغم اتفاقية السلام بين الأردن وإسرائيل ، إلا أن السلام بينهما لم يستطع الوصول إلى القواعد الشعبية الأردنية ، رغم أن الأردن لم يشارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، إلا أن اتفاقية السلام تأخرت نحو ٢٣ سنة بعد حرب أكتوبر وبعد ٢٨ سنة بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية لنهر الأردن والقدس الشرقية والأراضي الأردنية ، التي لم تعد بعد تلك الاتفاقية للسلام ، بل استأجرتها إسرائيل لمدد طويلة !!!

ـ وبالرغم من أن إسرائيل احتلت هضبة الجولان عام ١٩٦٧م ، وبالرغم من استعادة إسرائيل أغلب هضبة الجولان بعد أيام من بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، إلا أنها مازالت تحتفظ بهذه الهضبة حتى الآن وترفض إعادتها لسوريا رغم مرور ما يزيد عن ٣٣ سنة على احتلال هضبة الجولان السورية للعرب ، وهذا يدل على تمسك إسرائيل باحتلال الأراضي العربية بالقوة ، وعدم مبادلة الأرض مقابل السلام ، وهذا يدل على مؤشرات

استمرار الصراع بين العرب وإسرائيل ، لأن سوريا والعرب لن تتنازل عن سنتيمتراً واحداً من هذه الأراضـــي العربية ، ولأن السلام مع سوريا يعتبر ترمومتر للاستقرار والسلام في المنطقة ذاتها .

ــ كما أن قيام إسرائيل باجتياح لبنان عام ١٩٨٠م ، بغرض احتلالها ، يؤكد أن الصراع بين العرب وإسرائيل مستمر ودائم ، ولن ينتهي في القريب ، لأنه صراع مصيري ، ولأن إســرائيل مازالــت تواصــل سياســاتها الاستعمارية بغرض احتلال والسيطرة على الأراضي العربية ، لتحقيق هدفها (من النيل للفرات هذه حدودك يا إسرائيل) ، والاجتياح الإسرائيلي للبنان (٣٢) ، جاء في وقت لم تجف فيه مداد اتفاقيات السلام بــين مصــر وإسرائيل التي وقعت بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩م (٣٣) ، يدل على أن هدف إسرائيل مازال كما هو بدون تغيير ، وهو ما يزيد حدة الصراع بين العرب وإسرائيل .

ــ كما أن ضرب إسرائيل للمفاعل النووي العراقي (في جنوب شرقي بغداد) وتدميره بعد ظهر يوم السابع من يونيو ١٩٧١م ، وفي وسط السلام بين مصر وإسرائيل (٣٤) ، يوضح بجلاء أن الصراع بين العرب وإسرائيل صراع حيوي ومصيري ودائم ، لأنه صراع استراتيجي ، وأن إسرائيل لن تسمح بحال من الأحوال بنمو القــوة العربية وتفوقها ، على أي صعيد سواء أكان اقتصاديا أو سياسياً أو عسكرياً أو بشرياً أو ثقافياً ، وأن إسرائيل لا يهمها سوى أمنها الذي يضمن ، من وجهة نظرها ، أمنها واستقرارها ودوام دولتها العبريــة علــى أرض فلسطين ، واستمرار أطماعها في التفوق والسيطرة ، لأن المفاعل لم يكن قد جرى تشغيله كاملاً ، وكانت تلــك الضربة الوقائية ، والهجوم الشرس هو الأول من نوعه الذي يتعرض مفاعل نووي لهجوم جوي شــامل فــي العالم ، وقد استمرت الضربة التدميرية الهائلة مدة دقيقتين فقط ، وانتهت بتدمير كُلي وشامل للمفاعل .

ــ أن لُب المشكلة بين العرب وإسرائيل ليس مصر أو سوريا أو الأردن ، بل قلب المشكلة للصــراع العربــي الإسرائيلي هو مشكلة الشعب والأرض الفلسطينية المغتصبة ، ولذلك ، لن ينتهي الصراع بين العرب وإسرائيل إلا بالحل الجذري للمشكلة الفلسطينية ، وهذه المشكلة عويصة للغاية ، لأن حل المشكلة الفلسطينية برمتها حلاً نهائيا ، لا يمكن أن يحدث ، إلا على أنقاض الدولة العبرية ، وإن حدث سلام على غير ذلك ، فسيكون ســلاماً هاشاً قد يستمر عشرات الأعوام ، ولكنه لن يستمر طويلاً ، ناهيك على أن هذا السلام سيكون تحت بصر وسمع وحماية الدولة اليهودية ، وهذا يجعل استمراره صعباً للغاية ، وبذلك ، لا يمكن أن ينتهــي الصــراع العربــي الإسرائيلي في الأمد القريب أو حتى الأمد المنظور .

ــ ونتساءل : هل مضي يوماً واحداً منذ انتهاء حرب أكتوبر ، دون أن يحدث عدواناً إسرائيلياً على الأراضــي العربية ، سواء في لبنان أو فلسطين ، وسواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهناك الضربات الجوية المدمرة والمستمرة على الأراضي العربية في لبنان ، من عناقيد الغضب وغيرها ، ومن مذبحة قانا وما شابهها ، ومن ضرب المفاعل العراقي وعلى شاكلته ، ومن تدمير القرى الفلسطينية ومذبحة الحرم الخليلي ونفــق القــدس ، ومن استمرار وتزايد الشره الإسرائيلي بإقامة مستعمرات ومستوطنات يهودية متعددة ودائمة في قلب الأراضي الفلسطينية ، وخصوصاً في الضفة الغربية لنهر الأردن (٣٦) ، ومن تعنت في المفاوضات مع الفلســطينيين

والسوريين ، ومن عدم تنفيذ قرارات الشرعية الدولية بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في فلسطين وسوريا ولبنان ٠٠٠

ـ ثم ، هل الانتفاضة الفلسطينية لأطفال الحجارة ، والتي توسعت وتوغلت في كل أنحاء الأراضي الفلسطينية ، ليست إلا مجرد صورة جديدة من صور جولات الصراع العربي الإسرائيلي ؟ ٠٠ نعم وبالتأكيد ، لأن هذه الانتفاضة الفلسطينية كانت حربا على إسرائيل من الداخل ، من عرب فلسطين ،، وقد أدت الانتفاضة ، وما سبقها من أحداث ومقاومة فلسطينية شرسة من الداخل إلى تغيير الأوضاع والنظرة للمقاومة الفلسطينية كعمل مشروع ضد الاحتلال ، وهو ماحدا بإسرائيل بالبدء في التفاوض مع الفلسطينيين حول منحهم حكما ذاتياً تمهيدا لتقرير مصيرهم واستقلالهم ككيان سياسي ٠

والواقع يؤكد أن للفلسطينيين تاريخ طويل من المقاومة ضد إسرائيل ، من الداخل ، فالمقاومة الفلسطينية كانت صلبة وإيجابية دائما (٣٧) ، وتاريخها الدائم والمستمر مع الاحتلال الإسرائيلي يؤكد حقيقة وجودها كعنصر فاعل في توجيه دفة الصراع العربي الإسرائيلي ٠

أليس كل تلك المؤشرات تدل على استمرار وتواصل الصراع العربي الإسرائيلي ، فلم تكن حرب أكتوبر ١٩٧٣م آخر الحروب في ذلك الصراع ، ولن تكون كذلك ، أمام طوفان الرغبات والطموحات الإسرائيلية للاستفادة القصوى من واقع التفوق الإسرائيلي الاستراتيجي عسكريا واقتصاديا وسياسياً ، فالصراع دائم وجوهري ومستمر بين العرب وإسرائيل ٠٠

فالصراع العربي الإسرائيلي صراع جوهري بالنسبة لأطرافه ، ومصيري أيضاً بالنسبة لأطرافه ، لأن الصراع المصيري فكرته الأساسية هي وضع نهاية ودمار الطرف الآخر ، والصراع الجوهري فيتضمن فكرة إمكانية التعاون المشترك ، الصراع المصيري إذن يتضمن شعور الأفراد والشعوب بالقتال من أجل البقاء والقضاء على الطرف المعادي ،ونوعية هذا الصراع تدفع المشاركين فيه إلى استخدام كل ما لديهم في الصراع ، وهذا عكس الصراع غير المصيري أو ما يسمى الصراع للبقاء المشترك لأن كلا الطرفين يتوقع استمرار الطرف الآخر أو حلول عصر السلام ، أما الصراع الجوهري فيكون متعمق الجذور في الهياكل الأساسية للأطراف المتنازعة ويتكرر مرات ومرات بين الأمم والدول والشعوب (٣٨) ٠

إن الصراع العربي الإسرائيلي تتوافر له كل العناصر والشروط التي تجعل منه صراعاً على درجة كبيرة من الخطورة ، ويؤثر استمراره على الأمن والسلام العالميين وليس في منطقة الشرق الأوسط فقط ، فهو صراع ليس وليد اليوم وإنما صراع له جذوره التاريخية التي ترجع به إلى بداية هذا القرن ، بل يعتبر من أعقد الصراعات في العالم المعاصر نظراً لتداخل عوامل سياسية واقتصادية ونفسية وإنسانية في أحداثه ونشأته ، كما أنه صراع يجري في منطقة استراتيجية هامة تقع في قلب العالم وغنية بالثروات والموارد الاقتصادية والطبيعية ٠٠٠

فالصراع العربي الإسرائيلي صراع جوهري في شكله ، مصيري في مضمونه ونشأته وتطوره ، ولا يسهل حله أو الوصول إلى صيغة سلام ومعايشة مشتركة بين طرفيه ، لأن هذا ليس بالأمر السهل أو الممكن ، لأنه صراع أيدلوجي بين الرؤية الصهيونية للوطن القومي والرؤية العربية لاستقلال ووحدة أراضي الأمة العربية ، وتورط القوى الخارجية في إحداثه وتطوراته ، وعدم مقدرة القانون الدولي التحكم في مجريات الصراع والإمساك بمحدداته ، فالصراع العربي الإسرائيلي من نمط الصراعات الدولية الاجتماعية والسياسية والاستراتيجية طويلة الأمد والممتدة (٣٩) ، وهو صراع مستمر عبر فترة زمنية طويلة ، ويكتسب قوة دفع ذاتية تعمقه وتقويه ، وتجعل أطرافه لا يقدمون على أية خطوات حاسمة نحو السلام وحل هذا الصراع من جذوره المترسخة في الأعماق العربية والإسرائيلية ٠

ولننظر ، كيف أدار كل من عبد الناصر والسادات الدفة المصرية والعربية في جولات الصراع العربي الإسرائيلي المختلفة ، في الفصلين القادمين ٠

هوامش ومراجع الفصل الثاني :

١ ــ راجع في ذلك : نبيل خالد الأغا ، القدس محاورة أديان السماء ، الرياض ، مجلة الحرس الوطني ، العدد ٢٣ ، ١٩٨٨، ص ص ٦٢ _ ٦٤ ، وأيضاً : أحمد أبو الذهب محمود : عروبة القدس وإسلاميتها ، الخفجي ، مجلة الخفجي ، العدد الثامن ، شعبان ١٤١٩هــ ، نوفمبر ١٩٩٨م، ص ص ٨ ــ ١٠ ٠

٢ ــ راجع ، مرمرجي الدومسكي ، بلدانية فلسطين العربية ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ١٩٩٧م ، ص ص ٢٦٢ ــ ٢٦٧ ٠

٣ ــ راجع : محمد على علوبة ، فلسطين والضمير الإنساني ، القاهرة ، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٥٦ ، ١٩٦٤م، ص ص٥٦ ــ ٦٠ ٠

٤ ــ إدوارد سعيد و كريستوفر هيتشينز ، إلقاء اللوم على الضحايا ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، ٧٩٥ ،١٩٩١م ، ص ص ١٨٩ ــ ١٩٧ ٠

٥ ــ المرجع السابق ، من ص ٨٦ إلى ٩٤ ، وتؤكد قرارات مؤتمر بال وعددها ٢٤ قراراً والتي تؤكد الحلم اليهودي في تملك العالم أجمع ، فمثلا القرار الخامس عشر تنبأ بانقلاب عالمي يوما ما وبحكومة حكماء اليهود المركزية ، وبانتشار المحافل الماسونية ، وأكد أن حق الأقوى هو الحق الأوحد وأن ملك إسرائيل سيكون بطريرك العالم ، بينما تحدث القرار رقم ٢٤ عن أسلوب صيانة دولة اليهود ، وأن أعضاء من نسل داود سيعدون ويربون الملوك وخلفاءهم ، وبينت القرارات الأخرى مفهوم حكماء صهيون للتعليم ولحرية الصحافة ولمهنة المحاماة ولنظام الدولة اليهودية وعن السلطة العامة ومفهومها والقضاء على المجتمع القديم وإعلان عرش ملك إسرائيل ٠

٦ ــ راجع : د٠ على إبراهيم عبده ، سيناء في مصر الحديثة ، ضمن كتاب : مصر سيناء ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، ١٩٨٣م ، ص ص ٤٤ ــ ٤٦ ٠

٧ ــ د٠ أمين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤م ، ص ص٢٨٥ــ٢٥٧ ٠

٨ ــ بيتر مانسفيلد ، العرب ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة العدد ٨١٨ ، ١٩٩٥ ، من ص ١٩١ ــ إلى ص ١٩٥ ٠

٩ ــ جون لافين : العقلية الإسرائيلية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٥٠ ، بدون تاريخ ، ص ٧٥ ٠

١٠ ــ راجع ، د٠ عبد الوهاب المسيري ، الأيدلوجية الصهيونية ، دراسة في علم اجتماع المعرفة ، القسم الثاني ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦١ ، يناير ١٩٨٣م ، ص ص ٩٠ــ٩٥ ، وما بعد ذلك ٠

١١ ــ راجع : ستيفن جرين ، التحيز ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٧١ ،بدون تاريخ ،ص ص ١٤ــ ٢٤ ٠

١٢ ــ راجع : محمد على علوبة ، فلسطين والضمير الإنساني ، مرجع سابق ، ص ص ١٤١ ــ ١٤٤ ، وأيضاً :جون لافين : العقلية الإسرائيلية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ ــ ٨٦ ٠

١٣ ــ راجع : د٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، بدون تاريخ ، ص ص٣٧٣ــ ٣٧٤ ٠

١٤ ــ راجع : د٠ عبد الوهاب المسيري ، أرض الميعاد : دراسة نقدية للصهيونية السياسية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد٧٤٢ ، ١٩٨٠م ، ص١٤٤ ٠

١٥ ــ راجع تفاصيل دخول القوات الإسرائيلية لسيناء في : تريفور ن دوبوي ، النصر المُحيــر ، القــاهرة ، الهيئــة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٦٨، ١٩٨٨م ، ص ص ٢١٤ ــ ٢٣٣م

١٦ ــ راجع : فتحي رزق : رباعية سيناء ، القاهرة ، المؤلف ، ١٩٨٤م ، ص ص١٦٥ وما بعدها ٠

١٧ ــ د٠ على إبراهيم عبده ، سيناء في مصر الحديثة ، مرجع سابق ، ص ص ٥١ ــ ٥٢ ٠

١٨ ــ سهير الكرداوي ورجاء شريف ، سيناء بين الحرب والسلام ، القاهرة مركز النيل للإعلام ، سلســلة دراســات قومية ، العدد السادس عشر ، بدون تاريخ ، ص ١٣٥ ٠ وأيضا : طه المجدوب ، حرب أكتــوبر طريــق الســلام ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، ١٩٩٢م ، ص ص١٦ ــ ١٨ ٠

١٩ ــ دافيد داوننج وجاري هيرمان ، حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلســلة كتب مترجمة ، العدد ٧٤١ ، ١٩٨٠م ، ص ص ١٥١ ــ ١٥٥ ٠ وأيضا: راجع ستيفن جرين ، التحيز ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٢ ــ ١٣٥ ٠

٢٠ ــ كارستين هولبراد : الدول العظمى والصراع الدولي ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، كتب مترجمة ، رقم ٧٤٤ ، ١٩٨١م ، ص ص ٩٤ــ ١٠٨ ٠

٢١ ــ راجع الهدف من اتخاذ قرار الحرب في : السيد فرج : أكتوبر الحرب والســلام ، القــاهرة ، الهيئــة العامــة للاستعلامات ،١٩٨٨م، صص٣٨ــ٣٩ ٠

٢٢ ــ حمدي لطفي ، العسكرية المصرية فوق سيناء ، القاهرة ، كتاب الهلال ،العــدد ٣١٠ أكتــوبر ١٩٧٦م ، ص ص١٨٠ ــ ١٨١ ٠

٢٣ ــ تريفور ن دوبوي ، النصر المُحير ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥٣ ــ ٤٦٣ ٠

٢٤ ــ راجع : حمدي لطفي ، العسكرية المصرية فوق سيناء ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ وما بعدها ٠

٢٥ ــ راجع في تفاصيل الجولة والبيانات العسكرية الصادرة عن القيادة العامة للقوات المسلحة : عبده مباشر ، مــن أوراق مراسل حربي في أكتوبر ، القاهرة ، مركز النيل للإعلام ، سلسلة دراسات قومية ، العدد ١١ ، ١٩٨٠م ، ص ص٤٠ ــ ٤٦ ٠

٢٦ ــ راجع في ذلك وغيره من تفاصيل الحرب ، فتحي رزق ، جسر على قنــاة الســويس ، القــاهرة ، المؤلــف ، ١٩٨٦م ، ص ص ٢٨٤ ــ ٢٩٦ ٠

وأيضاً : محمد فيصل عبد المنعم ، عندما سقطت السماء فوق إسرائيل ، القاهرة ، دار الشــعب ،، ١٩٧٥ ، راجــع صفحة١٣٥ وما بعدها ٠

٢٧ ــ عن وقائع الحرب العسكرية ، راجع التفاصيل في أمنون كابيليوك : إسرائيل وانتهاء الخرافة ، القاهرة ، إعداد مركز البحوث والمعلومات ، بدون تاريخ ، ص ص ١٢٧ ــ ١٥١ ، وراجع أيضاً وثائق الحــرب فــي هــذا الكتــاب المترجم الذي نشر وثائق هامة منها نص القرارات الدولية ٢٤٢لسنة ١٩٦٧م و٣٣٨ و٣٣٩ ٣٤٠ لســنة ١٩٧٣ ، ونص وثيقة جاليلي لخطة العمل في الأراضي المحتلة لسنة ١٩٧٣م ، واتفاقيات فصل القوات بين كــل مــن مصــر وسوريا من جانب وإسرائيل من جانب آخر ، وغيرها من الوثائق ٠

٢٨ ــ راجع في نتائج وآثار حرب أكتوبر السياسية والعسكرية : الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣م ، القــاهرة ــ ٢٧إلى٣١ أكتوبر ١٩٧٥م ، القاهرة ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٧٦م ، المجلد الأول والمجلــد الثاني ، وأيضاً : سهير الكرداوي ، سيناء بين الحرب والسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٣٦ ــ ١٣٧ ٠

وأيضاً : محمود المصري ، مائة نتيجة لحرب السادس من أكتوبر ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة دراسات قومية ، العدد الرابع ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م ، ص ١١ وما بعدها ٠٠

٢٩ ــ راجع :شارل سان برو ، الخفايا السورية ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٧٣ ،،بدون تاريخ ، ص ص ١٢٧ ــ ١٣٢

٣٠ ــ عن الغزو الإسرائيلي للبنان ، راجع : طه المجدوب ، حرب أكتوبر وحصاد السلام ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٣م ، ص ص ٨٧ ــ١٠٢ ٠

٣١ ــ راجع مواقف الشرعية الدولية المتمثلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، بخصوص قرارات المجلس تجاه أزمة الشرق الأوسط في : د٠ عطية حسين أفندي عطية ، مجلس الأمن وأزمة الشرق الأوسط ، تقديم د٠ عز الدين فوده ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ٢١٧ وما بعدها ٠

٣٢ ــ راجع نص اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل ، وطريق السلام الشاق ، وكذلك فوائد تلك الاتفاقية في : عبد المنعم شميس ، دقت أجراس السلام ، القاهرة ، مركز النيل للإعلام ، سلسلة كتب سياسية ، العدد الأول ، بدون تاريخ ، ص ص ٣٠ ــ ٣٣ ٠

٣٣ ــ راجع في ذلك : لواء دكتور زكريا حسين أحمد ، السياسة العسكرية المصرية في التسعينات ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٢م ، ط٢ ، ص ص١٥١ ــ١٥٤

٣٤ ــ د٠ على إبراهيم عبده ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨ ــ ٥٩ ٠

٣٥ ــ راجع في ضرب المفاعل النووي العراقي : عاموس بيرلماتر وميشيل هاندل ويوري بارجوزيف ، دقيقتان فوق بغداد ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٦٢ ، بدون تاريخ ، راجع على الخصوص الصفحات من ١١٢ إلى ١٢٥ ٠

٣٦ ــ عن إقامة المستوطنات الإسرائيلية وتطور هذه السياسة الإسرائيلية ، راجع : ميرون بنفينيستي ، السياسات الإسرائيلية في الضفة الغربية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٧٨م ، نوفمبر ١٩٨٥م ، ص ص ١١٣ ــ ١٢٢م ٠

٣٧ ــ راجع في تاريخ المقاومة الفلسطينية وتطورها ، د٠ عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٦ ، الطبعة الثانية ، يونيو ١٩٨٥م ، راجع صفحات عديدة تتحدث عن هذه المقاومة منها ص ص ٣٤٩ ــ ٣٦٤ ٠

وأيضا : راجع : روبرت و٠ تاكر وآخرون ، هل لا يزال السلام ممكناً في الشرق الأوسط ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، كتب مترجمة العدد ٧٣٣، بدون تاريخ ، وفيه يتحدث عن رؤى مختلف الأطراف والولايات المتحدة ، ويتشكك في إمكانية إقامة السلام في الصفحات من ٧١ ــ ٨٦ ٠

٣٨ ــ د٠ محمود إسماعيل ، محاضرات في الصراع ، مرجع سابق ٠

٣٩ ــ راجع د٠ عطية حسين أفندي ، مرجع سابق ، ص ص ٢١ ــ ٢٢

الفصل الثالث

إدارة عبد الناصر

للصراع العربي الإسرائيلي

الفصل الثالث

إدارة عبد الناصر

للصراع العربي الإسرائيلي

* * * *

يعتبر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر أطول من قام بإدارة الصراع العربي الإسرائيلي في أي طرف من الأطراف ، وقد أدار عبد الناصر الصراع العربي الإسرائيلي في جولتين من جولات هذا الصراع الأربعة وواجه خلال عقدين من الزمان مسئوليه إدارة الصراع من وجهة نظر الطرف العربي أو الأطراف العربية ٠

وعلى هذا فإننا سنبحث في هذا الفصل الموضوعات التالية :

المبحث الأول : الشخصية الكاريزمية عند عبد الناصر

المبحث الثاني : إدارة عبد الناصر للصراع في ١٩٥٦م

المبحث الثالث : إدارة عبد الناصر للصراع في ١٩٦٧م

المبحث الرابع : أسلوب إدارة عبد الناصر للصراع العربي الإسرائيلي

وهذا ما سنتناوله بالتفصيل ٠

المبحث الأول

الشخصية القيادية : كاريزمية عبد الناصر

القيادة السياسية هي تعبير عن صفه من صفات المجتمع ، وهذه الصفة تتقمص شخصيه معينه ، فإذا بها تَبْرُزْ وتنتهي بأن يصير هذا الشخص مظهراً من مظاهر النبوغ ، ويصير مُمْسكا بزمام الجماعة يقودها ويوجهها ٠

ولذلك فالقائد السياسي لا يظهر إلا من خلال عمليه تفاعل داخل المجتمع ، ولابد أن يملك خصائص تُميزه عن الآخرين النابغين ولابد من صفات ثلاث تتوفر في شخصيته [١] :

ــ من جهة : عمق التأثير العاطفي عنده٠

ــ من جهة أخرى : لابد أن يكون أكثر تحملا للألم ٠

ــ من جهة ثالثة : امتيازه بالقدرة على التحليل والتنبؤ بالمستقبل٠

وتخضع القيادة السياسية لمقومات معينه لابد منها حتى تنجح ، فلا بد لها من خلفيه اجتماعيه طبقا لكل خصائص المجتمع ومميزاته ، ثم لابد من قدرة هذا الشخص على أن يتقمص ويعبر عن تلك الخصائص وبحيث يصير رمزاً لذلك المجتمع ، وأخيرا لابد من الموقف الذي يحدث فيه التقاء العنصر الجماعي بالعنصر الفردي [٢] ٠

من هنا تبرز الشخصية التاريخية والقيادة الكاريزمية التي تنبع من الإنجاز وتحول مسار التاريخ أكثر مما تتكلم ، مع أنها تجعل من الجماهير بتقربها إليهم واندماجها معهم ، الركيزة الأساسية لها ، فهي شخصية تتخذ من التفاف الجماهير حولها وسيلة لاتخاذ القرارات الخطيرة والحاسمة والتاريخية التي لا يجرؤ أحد من القيادات الأخرى اتخاذها ، وهى قيادة عالمية ، تمارس دورها الدولي لتجعل من الجماعة التي تُمثلها محور التعامل الدولي [٣] ٠

هذه هي خصائص الشخصية القيادية والكاريزمية ، فهل مَثَّل عبد الناصر تلك الشخصية الكاريزمية ؟!

i. بالفعل ، مثل عبد الناصر الشخصية التاريخية العالمية ، فقد كان مؤتمر باندونج بداية لبزوغ نجم عبد الناصر على المستوى الدولي ، فمنذ ذلك اليوم أصبح عبد الناصر (البطل الوطني المُدافع عن السلام في العالم) وذلك في رأى اليسار العربي ، بعد أن كان يتهمه قبل ذلك الحين بالفاشية الموالية لأمريكا [٤] ٠

بالطبع كانت تلك البداية لسطوع نجمه العالمي ، فصال وجال في الميادين الدولية ، كما سنرى عند رؤيتنا لإدارته للصراع في حربَّى ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م ، وأصبح واحدا من القيادات العالمية التي تستطيع أن تلعب على

التوازن الدولي ، فى ظل سياسة سادت عالمنا الثالث كله ، وهى عدم الانحياز والحياد الإيجابي التي ساهم عبد الناصر في تكتل القوى النامية كلها وراءه مع نهرو وتيتو ، ليقفوا يدا واحدة للدفاع عن التحرر والاستقلال ٠

ii. وكان الإنسان هو كل ما يشغل بال وفكر عبد الناصر ، ومن هذا الإنسان صاغ منهجه ليكون في خدمتـــه ، وليحقق له حريته وكرامته ويسترد به إنسانيته ٠

iii. فكانت التجربة التي بدأ عبد الناصر في صياغتها منذ عام ١٩٥٢م ، تجربة بالغة الصعوبة والتعقيد ، فقد بدأ عبد الناصر زحفه الثوري على الجماهير دون تنظيم سياسي ، وأيضا دون التطرف الشامل للتغيير الثـــوري ، فبرزت الحرية في فكر عبد الناصر ، حرية الوطن ، وحرية المواطن : حرية الوطن بالجلاء الكامل وبمقاومـــة الأحلاف والارتباطات العسكرية ثم حرية المواطن التي صيغت وتشكلت بحرية الوطن ، فكان نجاح عبد الناصر الحقيقي بربط حرية الإنسان بحريه بلده ووطنه ، فكان اندفاع الجماهير وراءه في كل موقف وطني خير تجسيد لهذه الحقيقة وهى التفاعل التام بين القائد وشعبه [٥] ٠

iv. وإذا كان ماكس فيفر ، كواضع لأصل مفهوم الكاريزما ، يعرف ظاهره الكاريزما باعتبارهـــا صـــفه معينـــه للشخصية الفردية بفضلها ينفصل الفرد عن الناس العاديين ، ويعامل باعتباره "فوق الطبيعي وفوق إنساني" ، أو هي على الأقل صفات استثنائية بصورة خاصة ، وهذه الصفات لا يصل إليها الشخص العادي ، بل تعتبر هبة إلهيه أو مثالية على الأقل ، وعلى أساسها يتعامل الفرد كقائد ، ويركز ماكس فيفر في تعريفه الأساسي علـــى سمات القيادة ، فيهتم بالقيادة الكاريزمية التي يدرك الناس فيها صفات في فرد تجبرهم أن يتبعوه وبذلك يكون من واجب أولئك الذين يوجه إليهم رسالته أن يعترفوا به ، باعتباره زعيمهم المُلهـــم ، أي المؤهـــل للقيـــادة والزعامة بصورة كاريزمية [٦] ٠

v. وبرزت كاريزما عبد الناصر عقب ثورة ٢٣ يوليو وظهرت بوضوح منذ ١٩٥٥م ، ومع بداية تنشيط سياسة عبد الناصر المعادية للإمبريالية ، وظهر التجاوب بين عبد الناصر والشعب المصري ، فكانت عملية اكتســـاب شخصية عبد الناصر لصفات الكاريزمة ما تزال تسهم في عملية إحراز مركز وقوة صانع القرار الرئيسي وكانت العوامل التي ساهمت في تدعيم كاريزما عبد الناصر هي[٧] :

• من جهة القوة المجردة للتزلف الجماهيري لقيادة كاريزمية ترفع القائد إلى مركز فوق مركز زملائـــه فـــي عملية صنع القرار ، وهى ثقة جماهيرية وتعطى للقائد دور جديد ٠

• ومن جهة أخرى حاجة القائد لزملائه من حيث التعبئة العامة للمساندة الجماهيرية التي يمكـــن أن تـــتحطم بصورة هامة ٠

• ومن جهة ثالثة كان زملاؤه باعتبارهم جزء من البيئة العامة ، لابد أن يتأثروا بديناميات القيادة الكاريزمية ٠

ولابد من التأكيد هنا على أن المفهومين (القيادة الكاريزمية وعملية صنع القرار) ليسا ذوى حدود مشتركة ، وبمعنى آخر ، بينما إحراز كاريزما يعتبر عامل مساهم في الحصول على المركزية في عملية صنع القرار ، فإن تحقيق مركز سيطرة في بنيان صنع القرار يورث بالضرورة الكاريزما لشاغله .

ومن استعراض تاريخ عبد الناصر يتضح كما سنرى أن الدور المركزي لناصر في أزمة السويس كان بمثابة الارتفاع النهائي ، والتتويج في الحقيقة للعملية الكاريزمية ، ثم جاءت الوحدة مع سوريا لتؤكد هذه الحقيقة .

vi.وتنبع ظاهرة طغيان كاريزما عبد الناصر ، ويظهر تفسيرها بوضوح بالعودة إلى التقاليد الثقافية والخبرات الاجتماعية للمصريين أنفسهم ، لأنه خلال التاريخ المسجل ، فإن السمة الأساسية للبنيان السياسي في مصر كان طابعه السلطوي ، مُركز بصورة أساسية على الحكومة المركزية ذات السلطة التنفيذية الرئيسية والقوية ، أن قبول الشعب المصري لهذا النمط من الحكم جعل من اليسير على عبد الناصر أن يبرز ويتحدى ، ويتمثل ذلك في القرى المصرية التي هي دائما الوحدة الاجتماعية الأساسية (القلب الاجتماعي لمصر) ، وتتمثل السلطة وتتركز في شخص واحد هو الرئيس أو الزعيم أو القائد ويسمى العمدة ، ومن ثم فإنه على المستوى القومي ، فإن القيادة الكاريزمية القوية كانت أكثر ملائمة للموقف المصري السائد عن الأنماط الأخرى من المؤسسات التي تقود المجتمعات (٨) .

vii.وهناك العامل المساعد الكبير في ظهور القيادة الكاريزمية لناصر ، هو بلا شك الحماس الغالب إزاء سياساته المعادية للغرب داخل مصر وداخل العالم العربي ككل ، وكان السبب الرئيسي وراء هذا الحماس هو التغرب الكلى لكثير من العرب عن الغرب الذي عبرت عنه سياسات عبد الناصر ، وهكذا فإن التحدي الناصري للغرب في سلسلة من أفعال جماهيرية ودراماتيكية ، مثل هجماته القاسية على حلف بغداد ثم صفقة الأسلحة التشيكية ثم التأميم الفوري لقناة السويس ، تلائم مع التوجهات السياسية السائدة للعرب ، ومع ذلك فإن هذه الأعمال الأولى كانت لمواجهة الإحساس بالتدني الاجتماعي والسياسي التي حازها أو اكتسبها المصريون على مدى تاريخ خضوعهم الطويل للغرب ، فكسب ناصر التأييد الجماهيري ، وهذا تدعم بعد العظمة التي نالها عبد الناصر في باندونج في أبريل ١٩٥٥ كأحد قادة العالم غير المنحاز ، وتضخمت صورته عندما أدرك الكثير من العرب أن الانسحاب الانجلوفرنسى تم من مصر (٩) .

viii.ويبرز دور البيئة وتاريخ عبد الناصر وتأثيره على شخصيته وإسهامه في بروز كاريزما ناصر ، فنحن ونحن فقط مدفوعين بيئتنا ونستطيع أن نقوم بهذا الإدراك العربي لقيادة ، ودور مصر ، فالإدراك بهذا الأسلوب وبتأثير البيئة شمل رؤية عبد الناصر كقائد للنضال القوى ، وكشخص أكثر قدرة على تجسيد تطلعات أغلبية الطبقات المتعلمة .

وفى هذا السياق كانت قيادة عبد الناصر الكاريزمية أصبحت متداخلة مع قيادة مصر ووضعها في الوطن العربي ، وكنتيجة لذلك من الشائع أن تجد إشارات متداخلة لمركزية في الحركة القومية العربية وقيادة عبد الناصر لها

، وعكس ناصر بنفسه هذه الرؤية وقواها ، ولم ير أي تعارض بين مركزية مصر وقيادتها ، بل بدا على العكس ، وفى مصادر متعددة ، يعتقد أن كلا منها كان منطقيا وكل منهما اشتقاق لا يمكن تجنبه دون الآخر ٠

وكان هذا الإدراك في الحقيقة قد قاد في بعض الأحيان إلى بيانات ضخمة بالغت كثيرا في نفوذه وقوته في العالم العربي ، وكمثال أنه ذات مرة عبر عن وجهات نظره بأنها تعبر عن "أراء الملايين الذين يعيشون في الأمة العربية" ، والنقطة الهامة أنها مثلت التيارات القومية التي جعلت موقع مصر المتميز في الحركة التقدمية العربية مبدأ مُعلنا لسياسة مصر الخارجية ٠

وكل ذلك توافق مع كبرياء الشعب المصري ، بواسطة الأدوار العربية لمصر ، بوضع نظام ناصر باعتباره قائد العالم العربي ، والزيادة الناتجة في المساندة للنظام ، إذ وجدت مع المكانة الدولية لعبد الناصر ورفعت نظامه إلى مرتبة السمو أبعد من ما يمكن أن يصل إليه ، وقد دعم العمل الإعلامي وعكس إدراك عبد الناصر باعتباره إجابة للتطلعات العربية ، وباعتباره القائد الشخصي للثورة العربية ، وباعتباره قائد نضال للمصير في الظروف التاريخية ، واعتباره رمزا عربيا يسمو على الحدود المحلية (١٠) ٠

وهو بذلك لم يفصل مصر عن قدرها العربي ، بل لعل العروبة عند عبد الناصر كانت أساسا تجرى في دمه وتكشف وجه مصر العربية ، فكان عبد الناصر هو الذي بلور القومية العربية ، وأعطى لها المضمون الثوري ، بل أنه هو الذي جعل مسئولية إقامة أول وحدة دستورية بين البلدان العربية بناء على الإرادة الشعبية الخالصة ، وبرزت شخصية عبد الناصر الكارزمة على المستوى العربي بسبب تطلعاته الوحداوية العربية (١١) ٠

ix.وكانت سلسلة الأعمال الاشتراكية والمبادئ الاشتراكية التي أعلنت ونفذت بسرعة (وبدقة) وما سبقها من قوانين الإصلاح الزراعي ، قد رفع من أسهم عبد الناصر لدى الأغلبية الساحقة للشعب المصري ، وما تلاه من ارتفاع مفاجئ وضخم في مستوى معيشة المصريين ، بالإضافة إلى الإحساس بحريه الوطن وبالتالي الحرية كل الحرية للشعب ، فأدى ذلك إلى بروز الوجه الشعبي الكاريزمي لعبد الناصر ٠

x.وكما قال نهرو "" أن هناك قله من الناس في تاريخ العالم قاموا بأدوار حاسمة ، وتركوا آثارًا بالغة الأهمية والخطورة في تحويل مجرى التاريخ الإنساني ، وسيظل اسم ناصر في طليعة هؤلاء الناس مشرقا وضاءا "" (إن عبد الناصر من أهم الشخصيات القائمة في هذا الزمن ، وهو رجل نزيه إلى أقصى حد ، فقد كتب عبد الناصر صفحة جديدة في تاريخ مصر ، وهذه الصفحة مليئة بالحيوية والحركة ، فهو رجل قوى وله مبادئ أخلاقية ولديه عقيدة فكرية ، وكان مصدر قوته أنه يمثل حركة تحرير الشعب المصري وتقدمه ، فهو يعطى الشعب ما لم يكن له فيما مضى أي أمل ...) فقد كتب هذا جونى فير في كتابه "في داخل أفريقيا")(١٢) ٠

فكانت أول صيحة لجمال ارتبطت باسمه وتحولت إلى حقيقة ملموسة فكافح من أجلها وساهمت في تدرج مكانته إلى الكاريزمية ، وسقط من أجلها وهو يحمل رايتها فكانت صيحته " ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد " (١٣)٠

xi.لكل ذلك أصبح عبد الناصر ذا شخصية عالميه منذ منتصف الخمسينات وبالطبع أثرت حياته الأولى على قراراته ، وقد تأثر بزوغ شخصيته بأسرته وزملائه عليه ، كل ذلك من المظاهر الحيوية التي أظهرت نجم ناصر على المسرح الدولي ٠

المبحث الثاني

إدارة عبد الناصر

للصراع العربي الإسرائيلي في ١٩٥٦م

لقد سبق أن أدار عبد الناصر الصراع عام ١٩٤٨م ، ولكن بصفته ضابطاً في الجيش ، وقاد معركة ضارية مع اليهود وخصوصا بعد حصار الفالوجا ، الذي جاء بعد فترة الهدنة التي أُعلنت في ١١ يونيو ١٩٤٨م ، وكما يقول إسحاق رابين : "لقد جاءت فترة الهدنة هذه في اللحظة المناسبة ، لأن قواتنا كانت قد استنزفت قواها ، وبات من الضروري إعادة تنظيمها ، وانتهزناها لنعالج مشكلتين خطيرتين : هما نقص العتاد ونقص الأفراد ، ولم يكن حصار الفالوجا سوى وسيلة لإحداث ثغرة في الخط المصري أمكن عن طريقه فصل منطقة النقب عن الشمال"(١٤) .

وبصرف النظر عن نتيجة المعركة ، فقد تركت أثرا عميقا في قيادة عبد الناصر وإدارته للصراع (١٥) .

وظهر ذلك واضحا في قيادته وادارته للصراع في معركة ١٩٥٦ :

أولا : تأثير حرب ١٩٤٨م على إدارة عبد الناصر للصراع في ١٩٥٦م :

لقد تركت معركة الفالوجا خصوصا وحرب ١٩٤٨م عموما تأثير على عبد الناصر أنعكس على إدارته للصراع في معركة ١٩٥٦م ... من عدة محاور على النحو التالي :

- فمن جهة تركت حرب ١٩٤٨ العنان لفكر عبد الناصر بضرورة التخلص أولاً من التدخل الأجنبي في شئون مصر ، لتكون الإرادة المصرية إرادة واضحة (١٦) .

- ثم كان لها التأثير العميق في ضرورة تدعيم الجيش المصري وتقويته وتنوع مصادر سلاحه ، وذلك لاستخدامه في الدفاع عن تراب مصر ، وبرز ذلك واضحا في قيادة جمال بعد توليه الحكم والسلطة .

- ثم كان تأثير تلك الحرب على ناصر في العمل على استقلال الإرادة الوطنية ، لتكون الدافع الحقيقي في الحفاظ على كرامة وسمعة مصر .

- ثم كان تأثير الواضح في تدارك التفكك العربي وتحقيق التضامن العربي ليكون قوة واحدة في وجه العدو ، حتى يتهيأ المناخ لانتصار العرب في أي معركة مع اليهود .

- وكان ذلك واضحا من تأثره الشديد وارتباطه العميق بالقضية العربية في فلسطين .

• ومن جهة أخرى فإن الأعوام التي أعقبت تلك الحرب أثبتت أن حرب ١٩٤٨م ، قد أنهت مشاكل إقامة دولة إسرائيلية ، ولكنها لم تُنْهِ مشاكل الدولة الإسرائيلية ذاتها أو تحل القضايا التي أدت إلى قيام تلك الدولة ٠

ثانيا : الاختبار الحقيقي لناصر :

بعد سنوات من الهدوء النسبي على الحدود المصرية الإسرائيلية ، بدأ التوتر يتصاعد مع تزايد عمليات الفدائيين الفلسطينيين ، فحتى عام ١٩٥٥م وصلت خسائر إسرائيل من جراء هذه العمليات إلى قرابة ٩٠٠ شخص مما زاد من قلق الحكومة الإسرائيلية ، وتضاعف هذا القلق بعد صفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٤م ، وفى صيف ١٩٥٦م انتهت الحكومة الإسرائيلية إلى أن الوضع القائم بينها وبين العرب لا يمكن حله إلا بالحرب ، ووافق بن جوريون على وضع خطه الحرب ٠

وتأجل تنفيذ العدوان ثلاث مرات ، حتى بدأ التنفيذ ونجح تكتيك عبد الناصر في الانسحاب من سيناء ، وكانت قواته المتقدمة في بعض القطاعات قد نجحت في وقف تقدم الإسرائيليين (١٧) ٠

لم يكن عبد الناصر يهدف إلى الحرب والاصطدام بأكبر قوتين آنذاك هما إنجلترا وفرنسا ، ثم إسرائيل المتأهبة على الحدود المصرية ، بل وطبيعة ناصر أنه "يميل إلى السلام ويبغض الحرب" ، لذا كانت تلك الجولة أول اختبار حقيقي لمدى قدرة الزعيم ناصر في التحكم في الموقف وإدارة الصراع مع التدخل الأجنبي ٠

فكان ولأول مرة : إدارة للصراع بطرف عربي وطني محض ، وبأسلحة جديدة وبقوى شعبية بل وبالشعب كله ، كانت المرة الأولى في تاريخ مصر الحديث يفرض على مصر المواجهة مع أعتى القوى ، ومع ذلك واجهت جماهير مصر بقيادة عبد الناصر التهديد الأجنبي بإرادة صلبة وجريئة (١٨) ٠

وأبرزت حرب ١٩٥٦م بجلاء ووضوح أن ناصر زعيم لمصر وشعرت به الأمة العربية وظهر كزعيم للعالم العربي وكان ذلك من أبرز نتائجها ٠

ثالثا : كيف أدار عبد الناصر هذه الجولة :

في تقويم الإدارة المصرية لأزمة قناة السويس يلاحظ أن القيادة السياسية في مصر قد نجحت إلى حد بعيد في حمل المجتمع الدولي على تأييد موقفها من خلال (١٩) : حرص مصر على وضع قرارها الخاص بتأميم قناة السويس في إطار من الالتزام القانوني حيث أعلنت احترامها لالتزاماتها الناتجة عن اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨م والتزامها بتعويض حملة الأسهم والسندات وقبولها التحكيم الدولي المحايد وقبولها لقرار مجلس الأمن الدولي الصادر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٦م ، متضمنا النقاط الست عن حرية الملاحة في قناة السويس ، وأيضاً ، عمل عبد الناصر على إحلال مرشدين أكفاء محل مرشدي شركة قناة السويس حتى لا يوجد مبرر للتدخل في إدارة القناة بحجة حماية مصلحة دولية عامة وحتى لا يتهم بتعريض حرية الملاحة والقناة للخطر ، ثم ، كان هناك نجاح مصر في خلق قاعدة عريضة من الدعم الدولي لقرارها ومن ذلك على مستوى القوتين العظميين

فقد حرصت مصر على عدم استثارة الولايات المتحدة ولم تشن هجوما عليها ، كما نجح عبد الناصر في تعبئة رأى عام مناصر لقضيته على امتداد العالم الثالث بأسره ، وتجسد عبد الناصر في صورة البطل الذي لا يتراجع أمام أقوى التحديات ، وأيضا ، عمل عبد الناصر على ترشيد قراراته أثناء الأزمة بتكثيف مشاوراته مع الدول الصديقة ، ولذلك ، فيمكن القول أن الإدارة المصرية لأزمة قناة السويس قد تضمنت عناصر عديدة من تقنيات الإدارة الناجحة للأزمات مثل توسيع نطاق المشاورات مع الدول الصديقة ودعم قاعدة التأييد الدولي والشعبي للقرار المصري ومحدودية الهدف والإصرار على تحقيقه .

ولذلك ، تتمثل كيفية إدارة عبد الناصر لهذه الأزمة في عدة نقاط هامة نستعرضها على الوجه التالي :

i. إذا تتبعنا مجريات الأحداث في هذه القضية وأسلوب ناصر في معالجتها ، فالمنشور البريطاني في ضرب السويس كان يقول :" يجب أن نضربكم بالقنابل أينما وجدناكم ، فكروا في قواتكم المهدمة وفى أبنائكم وأمهاتكم وأجدادكم وهم يهربون من منازلهم المحترقة تاركين كل شئ وراءهم " ... " لقد ارتكبتم خطئا ستدفعون ثمنه غاليا ، لقد آمنتم بعبد الناصر "

فرد ناصر على الإنذار أنه لن يستسلم وأنه سيتقدم صفوف شعبه ويذهب إلى جبهة القتال بنفسه ولن تُسَّلم مدن القنال بغير قتال ، وسوف تأتى المساعدة من كل البلاد الصديقة ، إن الشعوب الواعية المستعدة للتضحية تنتصر دائما على المعتدين مهما كانت قوتهم المادية ، وكان لرد عبد الناصر وقع شديد في أنحاء العالم أثار مشاعر الجميع [٢٠] .

ii. إذن فقد كان القرار بعدم الاستسلام من جانب عبد الناصر هو الطريق الصحيح وبداية تحديد طريقه إدارة الصراع من جانب عبد الناصر ، كان قرار عدم الاستسلام بعد التأميم أكثر إجراءاته الناصرية حيوية [٢١]، فقد كان هذا القرار هو بمثابة مواجهة الإمبريالية .

iii.وكان أول خصم لجمال هي هيئة أركانه التي اعترضت على الانسحاب من سيناء ، وأعلن جمال رداً على عرض الدول العربية باشتراكها في الحرب فورا ، بأن رفض ذلك بأباء وحزم ، وقال : " دعوني أتصرف ، لا أريد حربا " .

وبقى عبد الناصر من الناحية العسكرية في موقف الدفاع ، بينما كان يقود حملة دبلوماسية قوية ، وتقدمت أمريكا بقرار في الأمم المتحدة في أول نوفمبر تمت الموافقة عليه بأغلبية ١٤ صوتا ضد خمسة ، ولكن القوات المعتدية ظلت تضرب يوم ٥ ، ٦ نوفمبر في منطقة القناة ، وسرعان ما جاء في مساء يوم ٥ نوفمبر حيث أرسلت روسيا إنذارًا لكل من المعتدين تهدد فيه بقذف لندن بالصواريخ ، وبإثارة موضوع شرعية دوله إسرائيل ، كما هددت الهند بالانسحاب من الكومنولث ... كل ذلك مجرد ردود فعل عنيفة وعمليه لموقف مصر ، وتأييدا لموقف عبد الناصر [٢٢] .

iv.وقد استطاع جمال عبد الناصر أن يبلغ في مدة قصيرة ما كان لا بد له من سنين طويلة حتى يبلغـه ، وأول شيء فعله أن أتم تمصير الاقتصاد الوطني ، الذي كان بين أيدي الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين وغيـرهم ، وتمكنت مصر بعد التأميم من القيام بسرعة بتعويض الخسائر الجسيمة التي عانت منها بسبب الحرب ٠

v.واستمر في علاقاته بالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وسياسـته المدروسـة القائمـة علـى التـوازن والمساومة ، حتى النصف الأول من ١٩٦٠م ، بل وأبرزت الحرب (كأبرز ما تكون) سياسة التـوازن بـين القوى الدولية المتعددة في علاقة غير متميزة ، فلا يخضع القائد للشرق أو الغرب ، ويستطيع أن يأخذ ما يريد من أية كتله عن طريق تهديدها بالانضمام إلى كتلة أخرى [٢٣] ٠

رابعا : بعض نتائج الحرب على الصراع العربي الإسرائيلي :

i. لقد تضخمت صورة عبد الناصر عندما أدرك الكثير من العرب أن الانسحاب الانجلوفرنسى من مصـر فـي حرب السويس ، كان هزيمة للقوات الإمبريالية على يد عبد الناصر ، ورأى العرب أن نصر عبد الناصر علـى القوة العسكرية المجتمعة لبريطانيا وفرنسا كان ساحقا ، فمنحته أو أضـفت عليـه صـفات فـوق بشـرية ، فالبروفيسور جون بادو يقرر أنه " مع أزمة السويس ، ملأ عبد الناصر فجأة أفق الشرق الأوسط ، وأصبح بطلا إقليميا ، وبالنسبة للقوميين العرب بدأ بحق كصلاح الدين الأيوبي بصورة أو بأخرى لأنه اسـتطاع أن يقلـب المائدة على الإمبريالية الغربية " [٢٤] ٠

ii. أن أزمة السويس والدور المركزي لعبد الناصر في هذه الأزمة كانت بمثابة الارتفاع النهائي والتتويج فـي الحقيقة ، للعملية الكاريزمية له ، فالسويس كانت العامل المساعد الأكثر أهمية في إقامة سلطة عبد الناصر على الشعب المصري ككل وداخل بنيان صنع القرار ، أنتونى ناتنج ينسب السيطرة الفعلية لعبد الناصر على الأعمال أو الأفعال الموجبة خلال الأزمة :" فبينما سابقا كان يستشير دائما زملائه قبل أن يأخذ أي قرار هام فإنـه الآن يخبرهم بما يرغب في فعله ، ولا يطيق أي جدل لحكمه " ، كما يحلل شارلز كريميانس أيضا علاقة الدور بـين مجموعة الضباط الذين شكلوا بنيان صنع القرار في مصر آنذاك ويقول ، فإن جزءا من سبب هذا التغير فـي إدراك ولعب الدور يمكن أن ينسب للتغير في عبد الناصر نفسه ، فيرى كريميانس أنه " حدث تغير أكبـر فـي اتجاهات الناس من حوله ، فالذين ارتبطوا به ارتباطا وثيقا لسنوات وناقشوه في دورات استراتيجية مطولة ، ويقدموا له ما لديهم قبل ذلك ، بدءوا يشيرون إليه باعتباره الرئيس والزعيم أو الرئيس ، ويقتبسـوا آرائـه باعتبارها الكلمة النهائية في كل موضوع " [٢٥] ٠

iii.لقد بعث جمال عام ٥٦ بشجاعته وطاقاته الثقة في الشعوب الفتية المستقلة ، أو التي كانت فـي طريقهـا للاستقلال ، وقد أثبت بالدليل لدول العالم الثالث ، الذي أصبح واحدا من أبرز زعمائه ، بأن المفاوضات لا تعنى التنازل عن المبادئ ، وأن الاعتدال له فوائده وأن الابتعاد عن استخدام العنف واجبا كلما كان ممكنا [٢٦] ٠

iv.وبرز الإسهام الكبير لعبد الناصر في " ربط مصر بأمتها العربية " وبرز هذا الإسهام ابتداء من ١٩٥٦م مع حرب أكتوبر من هذا العام ، حيث تكاتف العرب مع مصر ، فكانت أبرز نتائج تلك الحرب ، أنه ربط مصر بأمتها العربية ، ثم ربط الأمة العربية بما فيها مصر بالعالم وقيمه وأحلامه ، وكانت تلك أبرز الأحداث علـــى طريـــق الدور العالمي للعرب ، وأصبح ناصر زعيم العرب الوحيد بلا منازع [٢٧] .

v.وكانت أبرز نتائج الحرب : أن عبد الناصر اعتلي مركز وهيبة دوليين ، وجعلته تلك الجولة شخصية عالمية ، وأطلقته إلى خارج حدود مصر بدلا من أن تدمره ، ومنذ ذلك الحين لم يعد اهتمامه مقصورا على شئون مصر وحدها .

vi.لقد كان للحرب نتيجة مباشرة وهى القضاء على حلف بغداد ، لأنه لم يكن في وسع أي زعيم عربي أن يبقى بعد حمله السويس صديقا لبريطانيا وعدوا لعبد الناصر [٢٨] .

خامسا : عناصر إدارة عبد الناصر للصراع في حرب ١٩٥٦ :

ونستطيع أن نحدد عناصر إدارة عبد الناصر للصراع في عام ١٩٥٦م في أربعة عناصر رئيسية هي :

أولا : أبرزت الأحداث قدرة عبد الناصر الزعامية على المستوى المحلى والعربي والدولي ، وبـــروز الزعامـــة القيادية كانت جليه واضحة في تلك الفترة على المستوى المحلى ، ولكن على المستوى القومي برزت الزعامة الناصرية ، وبدأ الدور الحقيقي له كرجل وكزعيم يناهض القوى الأجنبية وتدخلاتها في الشئون الداخلية للدول العربية .

وقد ارتبط بروز الزعامة الناصرية بالأحداث نفسها وبالموقف القيادي الذي لا يعرف التردد كما قال ناتنج في كتابه " ناصر " [٢٩] :

" ككل الزعماء الكاريزميين الذين لا يعرفون التردد في اتخاذ القرارات الصعبة مما أثر على ســير الأحــداث ، ولولا الشخصية القيادية لعبد الناصر لكان للصراع مجرى آخر ، خصوصا أمام أي رئيس يواجه أول ما يوجهه هيئة أركانه التي رفضت الدخول في المعركة ، وهو يواجه القوى الدولية الكبرى ، فكان بروز الزعامة نتيجة وسبب في آن واحد للجولة الثانية من الصراع العربي الإسرائيلي " .

ثانيـــــا : اعتمد عبد الناصر على التوازنات الدولية ، فلقد أدرك عبد الناصر أن الاعتماد على أي قوة دوليه معناه أن القوى الدولية الأخرى ستقف موقف اللامبالاة أو العداء ، ولذلك وضع عبد الناصــر مبــدأ التـــوازن الدولي والحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، وأجبرهما على التدخـــــل الدولي السريع للوقوف في وجه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، وبالفعل هدد الاتحاد السوفيتي بضرب لندن بالصواريخ ، وقادت الولايات المتحدة العالم كله بجهودها الدبلوماسية الضخمة التي انتهت بصدور قرار الأمم المتحدة برفض

العدوان والانسحاب من الأراضي المصرية ، وهو ما أوعز إلى إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضي المصرية ، وقد لعب التوازن الدولي دورا هاما في ذلك الأمر وتلك النتيجة ٠

ثالثا : ومع ذلك لم يكن ناصر في بداية مرحله البناء الداخلي في مصر يرغب في الاستمرار في المعركة ، ولذلك لم يرغب أيضا في توسيع نطاقها ، فعندها أراد القادة العرب ذلك وأرادوا الاشتراك في الحرب فقال لهم " اتركوني أتصرف ، لا نريد حربا " ولذلك فقد كان داعية سلام وليست داعية حرب ، فقد كانت استراتيجيته هي استغلال أخطاء الآخرين " أي أتركوهم يخطئوا ونحن نستفيد من هذا الخطأ " ٠

رابعا : وقوف الشعب المصري بكامله وراء القيادة ، وكانت أروع عمليات المشاركة من جانب الشعب في القتال ، ولم يرهبهم صوت المدافع ، بل كافحوا وتطوعوا وانطلقوا إلى بورسعيد ليحاربوا في صفوف الجيش والشعب ، وكان الالتحام بين القيادة والشعب هو الذي دفع عبد الناصر إلى انتهاز الفرصة للتخلص من كافة القيود الأجنبية في مصر ، حتى أن الإنذار البريطاني الفرنسي قال :" يا شعب مصر ... ستدفعون ثمنا غاليا بإيمانكم بناصر " ٠ وكان ناصر هو رمز وتجسيد لروح الشعب كله

خامسا : كانت إدارة الصراع في تلك الفترة هي بمثابة كشف نقط الضعف والقوة في الجانبين العربي والإسرائيلي ، ولذلك فخوفا من محاصرة الجيش وإبادته في سيناء ، فقد برع ناصر في استخدام العقلية العسكرية الإسلامية " انسحب قبل أن تهزم " التي سبق أن استخدمها خالد بن الوليد ومنحه الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام وسام " سيف الله المسلول " مكافأة له على الانسحاب ، وتضيع الفرصة على العدو للنصر على المسلمين ، وهكذا فعل ناصر بأن أضاع فرصة النصر على إسرائيل والغرب ، بتكتيك عسكري ماهر ، أدى إلى المحافظة على الجيش المصري ، للصمود في وجه القوات الفرنسية والإنجليزية ، من حيث :

- فهم أنه لا تصلح معركة داخل سيناء ٠
- وفهم أن الجيش المصري لا يمكن أن يحارب في جبهتين ، وأنه سيحاصر ، فاتخذ خطوة تكتيكية بالانسحاب من سيناء وتضييع فرصة النصر للأعداء ٠
- وفهم الوضع الدولي والتوازنات الدولية بين موسكو وواشنطن في قمة مرحلة للحرب الباردة ، وعرف كيف يلعب بهذه التوازنات حتى تحقق له النصر الكبير في أيام ٠

المبحث الثالث

إدارة عبد الناصر للصراع

في عام ١٩٦٧

تمثل الجولة الثالثة من الصراع العربي الإسرائيلي فقرة هامة من هذا الصراع لأنها كانت بمثابة انكسار لأحد الأطراف وتدمير قوات ناصر ... وتبدو أهمية هذه الجولة على عبد الناصر نفسه أكثر وأكثر ، فلم يكن من السهل على قائد وثق به الشعب وأيدته أمته ودهش العالم من جرأته وجبروته وقيادته ، أن ينهزم بسهولة وتدمر قواته ويتخلى عن جزء كبير من أراضى دولته وتحتلها دولة صغيرة على حدوده ٠

ولذا سنحاول هنا أن نرى بعض ملامح إدارة عبد الناصر لهذه الجولة ، وما سبقها من أحداث ، وما تبعها ، حتى نرى شكلا متكاملاً عن إدارة هذه الجولة ٠

أولا : الغرب ... وناصر ...

لم تكن بداية الأحداث في ٥ يونيو ١٩٦٧م ، وإنما كانت قبل ذلك بكثير ، فقد كانت هناك سلسلة من البدايات التي كانت تفرض على الغرب مواجهة عبد الناصر ، ومحاولة الحد من جبروته وقيادته أو حتى تقليم أظافره ... فقد كانت هذه السلسلة كما يلي [٣٠] :

i. حرب ١٩٥٦ التي قصمت ظهر القوتين الأعظم آنذاك بريطانيا وفرنسا ، وجعلتهما يحلمان مرة ثانية من الانتقام من عبد الناصر والتشفي فيه ٠

ii. ضرب النفوذ الأجنبي ليس في مصر وحدها وإنما في سائر أنحاء المعمورة ، فكان هذا النفوذ الأجنبي ينتهز وجود أي فرصة للانتقام من عبد الناصر ٠

iii. امتلاك عبد الناصر لزمام المبادرة العربية ولدول العالم الثالث ، مما جعل هذا النفوذ الأجنبي والقوى الأجنبية تحاول دائما أن تقضى على رأس هذا النظام ، الذي سبب لها الكثير من المتاعب في العالم الثالث ٠

iv. ازدياد حركة الإنماء الداخلي في مصر ، ومدى تأثير ذلك على قلة الواردات ، وبالتالي عدم الاعتماد على الغرب في صناعاته ووسائله الحياتية ، مما جعله يفقد صوابه ويتكتل للدفاع عن مصالحه ٠

v. مواجهة الغرب في مواقع متفرقة في دول العالم والانتصار عليه ، مما جعل الغرب يحاول الإجهاز على النظام الذي تتكئ عليه كل هذه القوى ٠

vi. ازدياد علاقته مع الكتلة الشرقية ، والتي ما كان يسمح به الغرب نهائيا ، وكان ناصر أول زعيم يتعامل مع الشرق على قدم المساواة دون حساسية في الشرق الأوسط كله ، مما جعل الغرب يحاول أن يحاصر النفوذ السوفيتي في مصر وضربه ، بالقضاء على النظام (نظام عبد الناصر) الذي يتعاون معه ٠

vii. التدخل المصري في اليمن ، وإقامة جمهورية تقدمية هناك ، بدلا من النظام القديم ، مما جعل الغرب يقرر أن لا يقف مكتوف الأيدي أمام هذا التطور الخطير في المنطقة ٠

كل هذه الأسباب جعلت الحرب آتيه لا ريب فيها لتأديب عبد الناصر ٠

ثانيا : مقدمات الحرب ودور ناصر فيها :

مع بداية عام ١٩٦٦ أعلن عبد الناصر ، "ونحن نتحدث من الناحية السياسية" ، حربا على الولايات المتحدة وبريطانيا ، بنفس الطريقة التي فعلها أنتونى إيدن ضده بعد مسلسل أحداث جلوب (episode) في ١٩٥٦م ، وكما حدث مع إيدن ، كان يجب دفع عبد الناصر عام ١٩٦٧م ، بصورة لا ترحم ، نحو كارثة ، بواسطة سلسلة رد الفعل المرضى والشك ورد الفعل المبالغ فيه وسوء الأحكام ، وبكفاح ناصر اليائس لاستعادة المبادرة في الشرق الأوسط ، أدخل مصر في سلسلة من المغامرات والعمليات التي تفوق ما كان لقدراتها أن تتحمله ، حتى أنه بدلا من أن يصوغ الأحداث وفق مخططه ، وجد نفسه يقوم برد فعل بصورة مندفعة في مواجهة أفعال الآخرين الذين أصبحوا أعداءه سواء باختيارهم أو باختياره [٣١] ٠

فكان تصميم ناصر المطلق على إخراج البريطانيين من عدن ، ومقاومة خططهم الشريرة التي أعتقد أنهم يدبرونها مع حلفائهم الأمريكان ، ولذلك عمل ناصر على تقويه قواته في اليمن حتى أصبح نصف جيشه في اليمن ، وبغض النظر عن حقيقة أن جهوده لتطوير نشاطات أل flosy ازدادت لخلق الغيرة بين الجماعات الوطنية المتنافسة ، أكثر من أن تؤرق السلطة الاستعمارية البريطانية ، فإن عملاءه استمروا في تهريب الأسلحة إلى عدن [٣٢] ، كما أعلن أيضا أن الوجود المصري في اليمن سيستمر لعشرين عاما لو اقتضت الضرورة ، حتى يجبر البريطانيين من الخروج من المنطقة ، واستمر راديو القاهرة في توبيخ الإمبريالية واتهام المخابرات المركزية الأمريكية بمساعدة الملكيين على حساب حلفائهم البريطانيين ، ورغم مبادرة بريطانيا في فبراير ١٩٦٦م ، إلا أن ناصر لم يكن يقبل أي اتفاق أو ترتيب يتطلب انسحاب قواته حتى يغادر آخر جندي بريطاني عدن ٠

ويحدد ناتنج أن لناصر التزامات واسعة تجاه المنطقة ، فقد كان عليه أن يأخذ الالتزام المصيري والمميت للدفاع عن سوريا ضد أي طرف ، وكان مسلسل الأحداث الذي قاد إلى هذا التعهد بدأ في يونيو عام ١٩٦٦م ، عندما أطيح بابن بيلا في الجزائر في ثورة (قصر) التي قام بها وزير الدفاع بومدين ، وأصاب ناصر القلق لهذا الحادث ، لأنه هدد حياه رجل كان يكن ناصر له حُباً شخصيا ، واعتقاده أن هذا الحادث هندست له القوى

الاستعمارية[٣٣] ، ولم لا ؟ ، وقد كان لابن بيلا تأثيرا ضخما على ميزان القوى في العالم العربي ، وجعل الالتزام المصيري يتم بسرعة الانقلاب الذي تم في دمشق وإعلان نور الدين الأتاسي رئيسا لسوريا ، هذا التغيير في القيادة الذي كان إلى حد كبير نتيجة لكفاح داخل هرم حزب البعث ، والذي أنتج تعديلا هاما في السياسة الخارجية فيما وراء ميل خفيف نحو اليسار ، واستجابت له روسيا بسرعة بقرض مساعدة واتفاق للمساندة في بناء سد الفرات للحاجة الماسة إليه في سوريا ، وكان إزاحة حافظ عن الرئاسة في سوريا كانت إزاحة أبغض الأشخاص إلى قلب ناصر ، فلم يكن لدى ناصر تردد في القيام باقترابات فوريه مع الأتاسى ، وكان الالتزام المصيري من جانب ناصر لسوريا ٠

وكما قلنا أن الالتزام المصيري كان بالأمة العربية كلها ، وكان الالتزام أشد مع سوريا ، فقد تحمل ناصر مسئولية عقد مؤتمرات القمة واستطاع أن يكتل جهوده في آسيا وأفريقيا ومجموعة دول عدم الانحياز ، فقد كانت مؤتمرات القمة خطوة كبيرة نحو الوحدة ونحو جيش مشترك وجبهة واحدة في مواجهة إسرائيل ، وتعهدت الدول العربية بترك المهاترات ، وتعهدت بتسوية الخلافات وبدء إنشاء جيش فلسطيني لمواجهة أي عدو صهيوني [٣٤] ٠

وواصل عبد الناصر حملته في العالم كله غربه وشرقه ، فقد قطعت مصر علاقاتها ببون ولكن تحسنت العلاقات بفرنسا وألمانيا الشرقية وحتى زار وزير فرنسي القاهرة في ٢٥ مارس ١٩٦٦م ، وأدلى بتصريح قال فيه : " أن الظاهرة الكبرى في هذا العصر هي إحياء العالم العربي " [٣٥] ٠

وبدأ ناصر في تخصيص جزء كبير من وقته وفكره في تنظيم الجبهة الداخلية [٣٦]، وعندما بدأت إسرائيل تكثر من تحرشاتها بالحدود السورية في أول مايو ١٩٦٦م ، واعتدت على الحدود اللبنانية ، بدأت تتضح المعالم في وسط جو كانت هناك انفراجا في العلاقات المصرية الأمريكية ، وعند هذه اللحظة أمر عبد الناصر بتعبئة عدد من وحدات جيشه ، وهو عدد قليل ، فلم يكن يؤمن كثيرا بالحرب ، بل وكان ينفر منها ، بل استند إلى قوة مركزه القانوني ، وفضل الدخول في المعركة السياسية ، بالرغم من أنه عقد اتفاقيات للدفاع المشترك مع سوريا والأردن ٠

وبالفعل ، لقد جلس ناصر يُحصى المكسب والخسارة ، كما كان يفعل ذلك بصورة دائمة ، لوضع المكسب من وجهة نظره هو ، أنه مازال يحمى مصر والعرب من الخضوع للشرق والغرب وأنه مازال قادرا ، ومازال يستطيع أن يأخذ ما يريد من أية كتلة عن طريق تهديدها بالانضمام إلى كتلة أخرى ، ويعرف أن التوازن الدولي لن يسمح لهذا أو لذاك أن يستقطبانه [٣٧] ٠

كما بدأت التحرشات الإسرائيلية بسوريا وكانت تلك مقدمة للحرب العربية الإسرائيلية فى عام ١٩٦٧م ٠

ثالثا : معركة ١٩٦٧م

لقد توصلت قوات الدفاع الإسرائيلية إلى نظرية استراتيجية شاملة ، تعنى أن مبادرة إسرائيل بشن هجوم على الدول العربية ستمنح إسرائيل مزايا عظيمة ، خاصة فيما يتعلق بالمعركة الجوية ، عن طريق شن هجوم مفاجئ وشامل لتدمير قوات العدو الجوية ، وكان الهدف المبدئي هو شل المطارات وخاصة ممرات الإقلاع ثم تدمير الطائرات على الأرض ، وتوصلت أيضا أن تكون المعركة البرية على أرض العدو وأن تلحق الهزيمة بقواته في أقصر وقت ممكن نظرا لافتقار إسرائيل إلى العمق الإستراتيجي (٣٨) .

واعتبرت إسرائيل الجيش المصري هدفها الرئيسي ، بسبب تصرفات ناصر العدوانية ، وبسبب قواتها العسكرية التي ليس لها نظير بين أي من الدول العربية الأخرى ، على حد قول رابين ، والذي يجعلها أكبر قوة تهديد في زمن الحرب ، وبالفعل استطاعت إسرائيل في صباح ٥ يونيو١٩٦٧م ، أن تتم تدمير القوة الجوية المصرية تماما ، مما جعل القوات البرية المصرية فريسة سهلة أمام مدرعات العدو ، التي تحظى بمساندة وثيقة من القوات الجوية .

فلقد تم تدمير ثلث الطائرات على الأرض ، واقتصرت الحرب في اليوم الأول على مصر ، وكما يذكر رابين فقد نصت تعليمات الحكومة على الامتناع عن القيام بعمليات أخرى على أي جبهة أخرى (٣٩) .

وبالفعل تمت السيطرة على سيناء بعد الانسحاب المصري المُهين منها ، وكانت الضفة والجولان من السهولة حيث لم تستطع القوات الأردنية والسورية أن تقاوم ، وكانت الهزيمة للعرب جميعا ، ولقد بدأت إسرائيل حربها على سوريا في مساء ٨ يونيو بعد خروج مصر والأردن من الحرب تماما ، ويعلن رابين في مذكراته أن القوات السورية هي التي شجعت إسرائيل على الهجوم عليها بعد فرارها من الميدان عقب انتشار أنباء هزيمة مصر (٤٠) ، ورغم هذا فقد كانت الحرب السورية الإسرائيلية عنيفة وشرسة ، وانتهت باحتلال إسرائيل للجولان وحتى القنيطرة ، وكانت في حد ذاتها خطأ كبيرا من جانب السوريين ، لأنهم أعلنوا سقوط القنيطرة قبل أن تصل إليها القوات الإسرائيلية بأكثر من ٦ ساعات ، وكان قد سبق صدور قرار مجلس الأمن بوقف القتال .

رابعا : إدارة عبد الناصر للصراع ونتائج تلك الجولة

إذا كان عبد الناصر قد حقق في ١٥ عاما أمنيه محمد عبده ، الهدف الوطني الأعظم الاستقلال ، بما فيه من تصنيع واقتصاد " فقد كان الموقف في أعقاب الحرب أن أوقفت إسرائيل النيران بانتصار وفشل ، الانتصار الحربي الذي لم يكن ينتظرونه ، وفشل في تحقيق الأهداف ، فلم يصب سكان دمشق بأسى ولم تنسف منازل الضواحي ولم تسقط الحكومة السورية ، هذا بينما أثار عناد إسرائيل حماس الشعب المصري وحرك طاقاته ، فقد عرف الشعب أنه بعد فقدان الجيش المصري سلاح الهجوم أرتد حتى القناة وتوقف عن القتال ، وتحولت الدهشة وتحول الانهيار عقب الهزيمة إلى " عزيمة وتصميم " (٤١) وكان يسرى تيار كهربي جديد ، فقد كان

رجل الشارع في مصر يتمثل نفسه في موضع جمال ، ويشعر أنه كإنسان كان : يرفض حتى اللحظات الأخيرة الأيمان بالدماء التي تراق وبالأسلحة التي تُدَمِر ، وبالأبرياء التي تُذْبَح ، ولكن كان هناك شعورا آخر هو أنه لابد له من الصمود مرة ثانية ، وأنه سوف يصمد ، وكانت قوة كبيرة لا مجال للهزل فيها ، وكان الانطباع أن مصر لم تشهد ذلك اليوم منذ قرون ... يوم الجد والعزم والتصميم .

وكانت الهزيمة المصرية هزيمة للقيادة العليا قبل أي شيء آخر ، فالقيادة العليا للجيش تتمثل في المشير ومن كان معه[٤٢] ، وقد حاول الانتحار قبل انتهاء العمليات الحربية وهو أمر مفهوم ، فالمسئولية الكبرى التي كان يحملها مصدرها ثقة جمال فيه ، وكان منظر خروج الشعب المصري لرفض الهزيمة فريدا من نوعه ، فقد كانت أفواج الناس تتلاطم في القاهرة ، هذه الملايين الذي كان ناصر يراوده الأمل في أن يراها في زحفها المقدس فى صفوف متراصة ، ها هي أخيرا تلك الصفوف المتراصة ، ولكنها لم تزحف ساعة النصر ، وإنما عند المحنة ، وكان الشعب يدرك ما يفعل وبروح مرتاحة واعية ، ومن الخطأ أن نظن أنه اندماج عاطفي أو نوع من التعصب [٤٣] .

وكانت استقالة ناصر بعد الهزيمة ، وكان رد الفعل الضخم والتلقائي للجماهير المصرية المرتبطة بالتردد الإجماعي لزملائه بالابتعاد عن تحمل المسئولية ، دفعت ناصر إلى السلطة من جديد في ظرف يوم واحد من تقديم استقالته ، بعد النداءات العديدة من الحكومات العربية والعالمية التي قالت للشعب المصري "امنعوه من الاستقالة" وقالت له "أبق" ، هذا الفعل أوضح وأكد قبضته الكاريزمية على الشعب المصري ككل ، وعلى زملائه داخل عملية صنع القرار[٤٤] .

وكانت عملية توزيع جديد للقوى في العالم العربي التي احتلت فيها مصر دورا بارزا أيضا ، والتي نشأت كنتيجة لحرب ١٩٦٧ ، فقد قال عبد الناصر في ١٩٦٨م " أنه سابقا كان كل واحد يعتمد علينا ، كما أظهرت حرب اليمن ، واليوم كل واحد يعتمد على نفسه ، وهذا أصح كثيرا " ومع ذلك لم يتخل عن الفلسطينيين ، ولم يتخل عن الدفاع عن حقوقهم ، حتى أنه عندما حاول صحفي أجنبي في عام ١٩٧٠م ، أن يقارن بين موقف ناصر ، وموقف نابليون بعد " واترلو" قال عبد الناصر بسرعة " أن الثورة العربية والأمة العربية والشعب المصري فوق الفرد " [٤٥] .

أن الوقفة الشجاعة للقيادة وللمصريين إزاء هزيمة حساسة يرجعها دويشة إلى الكرامة المصرية وسيطرتها ، وهذا يرجع إلى أدراك الجميع وحساسيتهم لخضوع مصر لسنوات طويلة للسيطرة الأجنبية ، ومن ثم فإن كرامة مصر ومكانتها عامل نفسي أثر على عملية إدراك النخبة المصرية ، ويتأكد بوضوح تقدير ناصر للدور الرئيسي للكرامة في تقرير السياسات المصرية ، ففي كل أحاديثه ولقاءاته فإن كرامة مصر ومكانة مصر يركز عليها ، وتأكدت حتى أنه أعلن أن المجتمع المصري الجديد يبنى ليصبح حصن لكرامة ومكانة كل فرد فيه [٤٦] .

واتضح أن الهزيمة أو النكسة لا تفرق العرب ، بل جمعتهم مرة ثانية ، لرفض الهزيمة والانصياع إلى نتائجها ، فكان مؤتمر الخرطوم في سبتمبر ٦٧ للقمة العربي ، الذي تمسكت مصر فيه بالحل الدبلوماسي الذي ليس معناه التسليم أو الخضوع للقوة أو العنف أو حتى التنازل عن المبادئ بالإيمان ، لأن الاعتدال له فوائده ، وأن السلم مفضل على القتال ٠

وكان الاتفاق على تدعيم قدرات المتحاربين ، وبدء عصر حياه جديدة في العالم العربي كله ٠

ونلاحظ هنا أن عبد الناصر عندما بدأ يعيد تنظيم جيشه استفاد من التجارب السابقة ٠

خامسا : تحديد لإدارة ناصر للصراع فيما بعد ١٩٦٧م :

إذا كانت قيادة ناصر وإدارته للصراع في ١٩٦٧م قد أخفقت في تحقيق النصر ، فقد استفاد القائد من أخطائه العامة والخاصة ، وأخطاء الأمة بأسرها ، ولوى عنق التاريخ ، واستطاع في حرب الاستنزاف أن يعيد القوى إلى وضعها الطبيعي ، فتميزت إدارة عبد الناصر للصراع في تلك الفترة بما يلي :

i. القدرة على الاستمرار في الصمود ، تلك القدرة التي تفقدها الدول الضعيفة في مواجهة أول محك للاختبار الحقيقي ، وخصوصا بعد ثقل الهزيمة على مصر فهذه إحدى سمات إدارة ناصر ومصر للصراع [٤٧] ٠

ii. استمرار ناصر كرمز للنضال والصمود والتحدي بقيادته الكاريزمية ، رغم خطورة الموقف على المستويين العربي والمحلى ، وقد كان لذلك أكبر الأثر في تصحيح مسار النضال لشعب مصر ولجيش مصر ٠

iii. تأكيد التوازن والتلاعب بالتوازنات الدولية ، فبعد أن فقد ناصر هذه القدرة في فترة ما قبل ١٩٦٧م ، نجده يجيد التعامل مع القوى الدولية ، فتبدأ بريطانيا في تقديم مشروع القرار ٢٤٢ في مجلس الأمن ، ويهدد الاتحاد السوفيتي بإشعال موضوع شرعية إسرائيل ، بل ويهدد بضربها إذا لم تنفذ فورا قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، وأعلنت فرنسا رفضها للاحتلال الإسرائيلي رغم كل شيء ، لأنها البادئة بالعدوان ، والتزمت بالوقوف إلى جانب العرب ، وها هي الولايات المتحدة تصنع وتقدم مبادرة روجرز للسلام في المنطقة ، وكان عبد الناصر يدرك قدرة التلاعب بالتوازنات الدولية لصالح الدول المحايدة ، وقدرة التلاعب بهذه التوازنات لحل الصراعات دائما ٠

iv. الوقفة الرائعة للشعب المصري والشعوب العربية مع القائد لحماية مكاسبها وانتصاراتها المتتالية التي كانت دافعا له للاستمرار في النضال ٠

v. الاستمرار في اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية بصورة واضحة وصريحة ، وكانت هذه الاستمرارية تعني أن القائد مازال في إدارته للصراع يحتفظ بحيويته وقدرته على اتخاذ القرار في الوقت المناسب ٠

أن ناصر في ١٩٦٧م وما أعقبها ، قد صَحَّح كثيرا من معتقداته ، واستفاد بتجاربه وتجارب الأخريين السابقة عليه ، فبرُزت قدرته الزعامية والكاريزمية أكثر وأكثر على المستويات المحلية العربيـــة والأجنبيـــة ، ثـــم أن الشعب المصري الذي قدم له عبد الناصر حياته ووهبه أماله وطموحاته وعمل من أجل رخائه وتقدمه وقف إلى جانبه دائما في كل القرارات فكانت المساندة الشعبية خير نصير لناصر في كل موقف صادفه ٠

هوامش الفصل الثالث :-

١.د٠حامـــــد ربيع - مقدمة العلوم السلوكية - القاهرة - النهضة الشرق ١٩٧٤ - صـــ١٤-١٧

٢.د٠حامد ربيع - المرجع السابق - صـــ ١٢ ، ١٣

٣.المرجع السابق الذكر صـــ ١٧ ، ١٨

٤. **J.Daumal, M . Leroy : Nasser.**

ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات - القاهرة رقم ٦٣٤ حـــ١ - صـــ ٨٣

وأيضا : بيتر مانسفيليد - العرب - القاهرة - هيئة الاستعلامات - سلسلة كتب مترجمة - رقم ٨١٨ - ١٩٩٥م - صـــ ٢٦١-٢٦٣

٥.عبد الله أمام - الناصرية - بيروت - دار الوطن العربي - بدون - صــــــ ١٧،٢٠،٥١

٦. **A. L. Dawisha : Egypt in the Arab world : (London, the Macmillan press, 76 , P : 103)**

٧. **Dawisha: Op - Cit. , p.106.**

٨. **Dawisha - op . cit., p.1.3.**

٩. **Dawisha - op . cit. , p.103.**

١٠. **Dawisha - op . cit. , p.p133-135.**

١١.عبد الله إمام - مرجع سابق ، صـــ١٤ ، ٣٧٩

١٢.عبد الله إمام - تأملات في الناصرية (القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٧١) صـــ٧،١٧

وأيضا راجع : ساندرا ماكى - العاطفة والسياسة - القاهرة - هيئة الاستعلامات - كتب مترجمة ١٩٩٦/٨٢٥م - صـــ ١٤٦-١٤٩

١٣. **Roher . St. . J . the Boss** ترجمة الإدارة الثقافية السياسية - هيئة الاستعلامات عدد ١٦ - صـــ١٠

١٤. **M. Rabin – the Rabin memoirs** ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات تحت رقم ٧٤٠ صـــ٤٩،٥٠

١٥.راجع في ذلك تريفود دوبوى - النصر المراوغ - عرض سامى الرزاز - جريدة الجمهورية في ١٩٨٢/٤/٢٥م .

١٦. **Anthony Natting : Nasser : (New York , E.P. Dutton & co : snc, 1972) p.19.**

١٧.تريفود دولوس - النصر المراوغ - عرض سامى الرزاز - مرجع سابق ، صـــ٤

١٨.جاك دومال - مرجع سابق ، صـــــ٨٢

وراجع أيضا : كارستين هولبراد - الدول العظمى والصراع الدولي - القاهرة - هيئة الاستعلامات - سلسلة كتب مترجمة ٧٤٤ - ١٩٨١م - صـــ ٢٧-٣٣ .

١٩.د٠ عباس رشدي العماري ، إدارة الأزمات في عالم متغير ، مركز الأهرام للترجمـــة والنشـــر ، ١٩٩٣م ، ط ١ ، ص ص : ١٦٠ ـــ ١٦١ .

٢٠.جاك دومال - مرجع سابق ، القسم الثاني صــــــ٨٢

٢١. Dawisha - op . cit., p.107.

٢٢.جاك دومال – مرجع سابق ، صـــ٤ ، ٥

٢٣.جاك روبرت جون – الرئيس – مرجع سابق ، صـ ٥٠٢-٥٠٣

٢٤. Dawisha - op . cit. , p.103.

٢٥. Dawisha - op . cit. , p.133.

٢٦.جاك دومال – مرجع سابق ، القسم الثاني ، صــــ٨٠

٢٧.محمد حسنين هيكل – عبد الناصر والعالم – بيروت – دار النهار للنشر ٧٢٠

٢٨.المرجع السابق صـ١٤،١٣

٢٩. A. Nutting : op . cit. : p.132 انتونىناتنج

٣٠.هيكل – عبد الناصر والعالم – مرجع سابق ، صـــ٣٥

٣١. Anthony Nutting : Nasser : op-cit : p:213.

٣٢. Ibid : p:215.

٣٣. Ibid: p:216.

٣٤.جاك دومال : مرجع سابق ، صـ ٢٥،٢٧

٣٥.المرجع السابق، صـ٤٥

٣٦. Dawisha - op . cit, p.104.

٣٧.روبرت سان جون – مرجع سابق ، صـ٥٠٣ جـ٤

٣٨.إسحاق رابين – مرجع سابق ، صـ ١٤٠،١٤١

٣٩.رابين – المرجع السابق ، صـ ١٤٥،١٤٤،١٤٣

٤٠.المرجع السابق ، صـ١٦٠:١٥٥

٤١.جاك دومال – مرجع سابق ، صـــ٦٨-٦٩

٤٢.تريفود دوبوى – النصر المراوغ – عرض سامى الرزاز – مرجع سابق ، صـ٧

٤٣.جاك دومال – مرجع سابق ، صـ ٦٩-٧٣

٤٤. Dawisha - op . cit, p.134.

٤٥.المرجع السابق – صـ١٣٥-١٣٦

٤٦.جاك دوماك – مرجع سابق ، صـ ٧٧-٨٠

٤٧.رابين – مرجع سابق ، صـ ١٦٨-١٦٩

الفصل الرابع

السادات وإدارته للصراع

في جولة ١٩٧٣م

الفصل الرابع

السادات وإدارته للصراع

فى جولة ١٩٧٣م

****

أدار الرئيس المصري محمد أنور السادات فعاليات الجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي ، المعروفة بحرب العاشر من رمضان ١٣٩٦ هـ ، أو المعروفة بحرب أكتوبر ١٩٧٣م ، أو المعروفة بحرب عيد الغفران ويوم كيبور وغيرها من الأسماء ، ولقد أدار الرئيس السادات هذه الجولة من الصراع على المستويين العربي والدولي ، فكيف كانت إدارته لهذه الحرب ؟ ، وهل نجح في تطبيق أساليب ونماذج إدارة الصراع ؟ ، وهل نجح في الخروج من هذه الحرب بأقل الخسائر وأكبر المكاسب ؟ ...

هذا ما نستعرضه بمشيئة الله في هذا الفصل لنتعرف على مختلف جوانب إدارة الحرب في هذه الجولة .

المبحث الأول

شخصية السادات

السادات هو ثالث رئيس جمهورية مصري بعد ثورة يوليــو ١٩٥٢م ، بعــد محمــد نجيــب وجمــال عبــد الناصر ٠٠٠

ولد محمد أنور السادات في قرية ميت أبو الكوم مركز تلا محافظة المنوفية ، وتخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨م ، وعُيِنَّ بسلاح الإشارة ، واعتقل أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي ، وأُخْرِجَّ من الجــيش ، ثــم أعيد إلى الخدمة العسكرية عام ١٩٥٠م ، وعند قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م ، كان عليه واجبات منها الاستيلاء على الإذاعة والشبكات التليفونية وإذاعة أول بيان للثورة يُعرف به الشعب نبأ قيام الثورة ، وبعد ذلك عــين وزيرًا للدولة عام ١٩٥٤م ، ثم سكرتيرًا للاتحاد القومي عام ١٩٥٩م ، ثم انتخب رئيسا لمجلس الأمة من عام ١٩٦٠-١٩٦٨م ، وعين نائبا لرئيس الجمهورية وعضوا بمجلس الرئاسة عام ١٩٦٤م ، وانتخب عضــوا باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي وأمينا للجنة القومية السياسية في سبتمبر ١٩٦٨ ، وأعيــد تعينه نائبا لرئيس الجمهورية في ديسمبر ١٩٦٩م ، وأنتخب رئيسا للجمهورية بعد وفاة عبد الناصر ، فــي أكتوبر ١٩٧٠م وأعُيد انتخابه في أكتوبر ١٩٧٦م لفترة رئاسية جديدة ٠

ألَّف كُتبا عديدة منها : قصة الثورة كاملة ، صفحات مجهولة من الثورة ، يا ولدى هذا عمك جمال ، البحــث عن الذات ٠

قاد وخطط لحرب ١٩٧٣م ، وانتصار جيش مصر وعبور قناة السويس ، وبعدها ظهرت كاريزميته بصــفته زعيماً للشعب المصري والأمة العربية ، وقاد عملية السلام في الشرق الأوسط ، فاستطاع استعادة ســيناء ، بعد أن وقع اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وبين إسرائيل والتي تضمنت الإطار الكامل لحل القضــية والحكــم الذاتي للفلسطينيين وبعد توقيع اتفاقيات السلام مع إسرائيل التي أعادت سيناء لمصر ، وقامت مجموعة من المتطرفين باغتياله في العرض العسكري الذي أُقيم احتفالاً بعيد النصر في أكتوبر ١٩٨١ (١) ، وهو بلا شــك شخصية قيادية قادت مصر نحو الحرب ونحو السلام ، واستطاع بذكائه وقيادتــه وشخصــيته ألان يصــارع إسرائيل في مجالي الحرب والسلام : انتصر في الحرب بقيادته الرائعة لحــرب أكتــوبر ١٩٧٣م ، وانتصــر بصبره ومثابرته في عملية السلام التي انتهت بعد وفاته باستعادة سيناء كاملة طبقا للاتفاقيات التي وقعها هو قبل موته ٠

المبحث الثاني

إدارة السادات للصراع

قبل وأثناء حرب أكتوبر

كان الإعداد لإدارة السادات للصراع في الجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي جيدًا ، بالنظر إلى المحددات والاستراتيجيات الخاصة بإدارة الصراع ، وهذا النجاح في إدارة الصراع يرجع إلى معرفة السادات بأصول اللعبة والتوازنات الدولية في بداية الصراع وأثناء الحرب ، أما بعد الحرب فهناك مآخذ كثيرة على إدارة السادات للصراع ، رغم أنه نجح نجاحا باهرا في ذلك عن طريق استعادة الأرض المصرية بالكامل ، ويمكن استعراض الجوانب المختلفة لإدارة الصراع العربي الإسرائيلي عند السادات ، قبل وأثناء الحرب ، على الوجه التالي :

١. إدارة السادات للصراع نبع من إيمانه العميق بالسلام ، فلقد أعلن السادات في أوج الانتصار " لقد قاتلنا وسنواصل القتال لتحرير أرضنا التي استولى عليها الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م ولإيجاد الوسائل نحو استعادة واحترام الحقوق المشروعة للشعب " [٢].

ولذلك فلقد كانت الحرب ليست غاية في حد ذاتها عنده ، ولكنها مجرد وسيله لتحريك الأمور نحو حل المشكلة بطريقه سلمية ٠

٢. أن وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية تم بناءً على مبادرة وليم روجرز ، والتي تم قبولها في ١٩٧٠/٨/٨م بواسطة الرئيس عبد الناصر ، وكذلك مبادرة الرئيس السادات لفتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية في عام ١٩٧١م ، وقام الرئيس السادات بإرسال مبعوثين إلى واشنطن للتأكيد على أن مصر لن تقبل احتلال أراضيها تحت ستار إيقاف النار[٣] ، كلها اتجاهات إيجابية في إدارة الرئيس السادات للصراع العربي الإسرائيلي من أجل السلام ٠

٣. الحرص على التوازنات الدولية قبل الحرب وأثنائها وكذلك عن طريق عدة مؤشرات إيجابية منها :

ـ تأجيل قرار الحرب والمهلة للحل الدبلوماسي ، بسبب الصراع الهندي الباكستاني عام ١٩٧٢م ، واتجاه القوى العالمية لحله ، فلم يكن من المناسب طرح صراع آخر في المنطقة ٠

ـ ومنها : طرد الخبراء الروس "السوفيت" عام ١٩٧٢م ، وهو ما يعتبره المحللين الاستراتيجيين حدثٌ خطر ، أحدث خللا كاملا في التوازن الإقليمي بين أطراف الصراع[٤] ٠

وهذه الأمور أعادت التوازنات بين الشرق والغرب في الشرق الأوسط ، وتوجت بالإعلان عن إعادة العلاقات المصرية الأمريكية إلى عهدها عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م مباشرة ٠

٤. الإعداد الجيد للمعارك العسكرية ، فلم يكن التهويل من شأن قواتنا واستعداداتنا مطروحة ، ولم يكن التقليل من شأن العدو مطروح ، ولكن كان الاستعداد الكامل لعبور قناة السويس والانتصار على إسرائيل وإعادة الثقة إلى قواتنا المسلحة وإلى الشعب المصري والشعوب العربية ، وكذلك السرية الكاملة والعمل في صمت كأسلوب للإعداد الجيد للدخول إلى الحرب ، ولذلك فاجأت الحرب التي شُنت من قبل القوات المصرية والسورية ، كلا من إسرائيل والولايات المتحدة ، كما يقول أمين عام المخابرات المصرية الأسبق(٥) " بما لديها من أجهزة مخابرات محترمة " وهذا يدل على " أن الحصول على المعلومات التي كانت متوافرة وواضحة شيء وتحليلها لمعرفة النوايا شيء آخر ، فالتكنولوجيا المتوسطة والعالمية ربما تساعد في الحصول على المعلومات وجمع التفاصيل وتصنيفها وتحليلها لمعرفة النوايا " ، وكانت المفاجأة كاملة بمعنى " يعنى الإدارة الجيدة بالاستعداد السري للقتال " ٠

٥. الحرص على وحدة الصف العربي وتقويته قبل وأثناء المعركة ، وذلك بالتنسيق الكامل مع سوريا في هجومها على الجولان عن طريق ثلاث نقاط وهى شمال القنيطرة – بين القنيطرة والهضبة رقم ٥ ، وبين قودتى وجوهادر ، وهذا التنسيق يعطى بُعدًا قوميا للمعركة ، وقد سبقه تنسيق عربي شامل ، فلقد كان العرب أكثر استعدادا للتعاون مع السادات على أساس من الندية ، لأنهم لم يشعروا بالخوف من أن تكون لديه نية السعي إلى فرض الهيمنة المصرية كما حدث في عصر عبد الناصر ، وحقق السادات في النهاية نجاحا في تشكيل جبهة عربية موحدة ، ساهمت فيها كل الدول العربية ، بأهم الموارد التي حباها الله بها (٦)، بما في ذلك الفرق العسكرية من الجنود العراقيين والكويتيين والأردنيين والسودانيين على الجبهة المصرية والسورية ٠

٦. التنظيم الجيد للجبهة الداخلية للاستعداد لأي مواجهة ، فلقد كان الشعب المصري يرى السادات رجلا وفيا ، رغم أنه لم يكن من الزعماء المرموقين آنذاك ، وكانت الأعوام ١٩٧١م-١٩٧٣م ، فترة على درجة متصاعدة من الصعوبة بالنسبة لرئاسة السادات ، وبدأ تصفية مراكز القوى داخل النظام المصري ، حتى يتهيأ له فرصة اتخاذ القرارات الحاسمة بسرعة ودقة ، لأن هذه المراكز كانت تهيمن بالفعل على العمل السياسي والإعلامي بل والأمني في مصر بحكم مناصبها ، وبدأ يَعِدْ الشعب بسنوات الحسم حتى تحسم المعارك الموقف المتجمد تقريبا على جبهة القتال والمتجمد بالفعل على الساحة السياسية ، وبدأ يعلن أوجه عن تنفيذ الديمقراطية والحرية وهو ما يصفه المراقبين بأنه الضرب على الوتر الحساس لأحاسيس المصريين ، ثم اتخاذ العديد من القرارات والخطوات الجماهيرية في المجالات الاقتصادية والسياسية ٠

٧. مواصلة التعاون مع الاتحاد السوفيتي ، رغم طرد الخبراء الروس ، بعد عدم اهتمام الحكومة الأمريكية بإظهار أي اهتمام بالمنطقة ، في إطار سياسة التوافق الدولي أو الاسترخاء الدولي ، فلم تُظهر الحكومة

الأمريكية أي بادرة على مواصلة تبنى خطه روجرز التي أعلنتها عام ١٩٧٠م ، وذلك لحمل إسـرائيل علـى الانسحاب من سيناء ، ومحاولة الضغط على الاتحاد السوفيتي ، لمد مصر بنوعيات مختلفة من الأسلحة التي تؤهل المصريين لعبور قناة السويس بسهولة ويسر [٧] .

٨. كان هدف الرئيس السادات عندما بدأ الحرب هو كسر الجمود في الموقف العسكري والسياسي ، بإجباره للقوتين العظمتين على فرض تسويه على الإسرائيليين المترددين ، ولذلك كان الضغط السياسي على إسرائيل ، قد بدأ عن طريق كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي والرجل القوي في الإدارة الأمريكية والمخطط الاستراتيجي ، والمعروف بيهوديته ، لحملها لقبول وقف إطلاق النار ، والتوصل لحل دائم للمشكلة العربية الإسرائيلية عن طريق التوصل إلى تسوية شاملة ، ولذلك لم يقبل السادات أية مقترحات لوقف إطلاق النار لا تشـتمل علـى ضمانات أكيدة لتسويه سياسية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي [٨] .

٩.استخدام العمليات الحربية بنجاح وذكاء وذلك عـن طريق الاستفادة من حائط الصواريخ سـام ٢ ، سام٣ ، سام ٦ في إسقاط الطائرات الإسرائيلية ، وبدأ الحرب بمرحلة العبور ثم مرحلة تثبيت الأقدام ، وبـدأ المصريون الاستعداد للمرحلة الثالثة عن طريق الهجوم المدرع الضخم والذي كان هدفه الأساسي الوصول إلى بير جفجافا في الفترة من ١١-١٥ أكتوبر ١٩٧٣م (أو ما يعرف بتطوير الهجوم المصري على سيناء حتى خط الممرات)، ولم تكن هناك مخطط تفصيلي لهذا التطوير ، وذلك لأن الرئيس السادات كان متأكدا من التدخل الدولي فورًا ، لإجبار إسرائيل على الانسحاب[٩] .

١٠. ومع مرور الأسبوع الأول من الحرب ، ولم يحدث التدخل المنشود بقوة كان لابد من تطوير الهجوم (بلا دراسة) كما قال الخبراء ، حتى أن المشير أحمد إسماعيل لم يكن راغباً في خوض المخاطر الواضحة التـي ينطوي عليها الهجوم ، فقد تشكك ، وثبت فيما بعد أن تشككه على حق ، أنه متى ابتعدت دباباته عن غطائها الصاروخي ، فسوف تقل قدراتها عن مثيلاتها الإسرائيلية [١٠] .

المبحث الثالث

إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي

فيما بعد حرب أكتوبر

تغيرت إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي فيما بعد حرب أكتوبر ، ولقد بدأت عملية التغيير في إدارة الصراع في الأيام الأخيرة لهذه الحرب ، نتيجة طول مدة الحرب ، ونفاذ إسرائيل من خلال ما يعرف باسم الثغرة إلى الضفة الغربية لقناة السويس ومحاصرتها بالفعل للجيش الثالث الميداني ، وقيام الولايات المتحدة الأمريكية بإقامة جسر جوي عسكري لنقل العتاد والمعدات العسكرية إلى إسرائيل لتدعيم موقفها العسكري على الجبهة المصرية ، بعد أن انتهت بالفعل من الجبهة السورية بتراجع القوات السورية إلى أغلب مواقعها قبل القتال ، ثم استمر التغيير في إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي حتى وفاته عام ١٩٨١م ، نتيجة المتغيرات الداخلية والدولية وبدء عملية السلام بين مصر وإسرائيل بمراحله المختلفة ٠٠

ويمكن الحديث عن إدارة الرئيس السادات لهذا الصراع في تلك الفترة على النحو التالي :

١ ـ حققت إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي أغلب الأهداف المحدودة (التي وضعها السادات لنفسه) ، ولذلك كان السادات أكثر استعدادا يوميا لإنهاء الحرب ، وخاصة بعد ثغرة الدفرسوار ، على ألا تكون الشروط مهينه للغاية (١١)، ٠

٢ ـ ضغط السادات على القوى الدولية كثيراً ، من أجل إنهاء النزاع سلميا ، حتى أثناء الحرب ، واستخدم كل الوسائل المتاحة من أجل هذا الهدف ، وذلك مثل :

ـ إغلاق البحرية المصرية لباب المندب أمام الملاحة الدولية ٠

ـ إعلان العرب في مؤتمر دول الأوبك بالكويت ، المنعقد بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٧م ، عن خفض الإنتاج البترولي ٥ % شهريا حتى نهاية العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية ٠

ـ حظر تصدير البترول لأمريكا وهولندا والبرتغال ٠

وأدى ذلك إلى تجاوب المجموعة الأوربية بدعوة إسرائيل للانسحاب في بيانها في ١٩٧٣/١١/٦م ، ووقوع خلاف كبير بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بسبب الشرق الأوسط ، هدد خلالها الاتحاد السوفيتي بمواجهة نووية ، وأُعلنت حالات الاستعدادات القصوى في القوات السوفيتية والأمريكية ، وانتهت هذه التوازنات ، التي لعب عليها السادات كثيراً ، إلى صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة (١٢) ٠

٣ ــ وبعد الحرب ، وبعد عودة العلاقات المصرية الأمريكية إلى حالتها الطبيعية ، بدأ السادات يخلط بــأوراق إدارة الصراع ، وذلك بالإعلان عن أن ٩٩% من أوراق اللعبة في الشرق الأوسط في يــد الولايــات المتحــدة الأمريكية[١٣] ، وهو ما حدا بالأطراف الأخرى العربية إلى الابتعاد عن جبهة القوة والوحدة والتعــاون ، وأدى إلى غضب الأطراف الدولية الأخرى مثل المجموعة الأوربية والاتحاد السوفيتي ، فلم يكن التوازن صحيحا ٠

ولذلك استغرقت عملية السلام نحو ٧ سنوات حتى تبدأ في سيناء ، وذلك بعد مبادرته المشهورة بالذهاب إلى القدس ، وفي هذا الأمر يقول هيكل (١٤)(الصورة لا تكون في إطارها الصحيح إذ لــم تحــدد مــن البدايــة مجموعة ضوابط مثل : إذا كان صحيحاً ، وهو صحيح ، أن بين الأمة العربية والولايات المتحــدة الأمريكيــة تناقضاً حاداً ، فإن حجم القوة الأمريكية ووسائلها وارتباطاتها يفرض على العرب أن يجدوا أسلوبا خاصاً لإدارة تناقضهم مع الولايات المتحدة الأمريكية ٠ وأنه في أوضاع العالم وموازينه ، فإنه لا يمكن ولا يجب أن يتوهم أحد إمكانية عزل أية واحدة من القوتين الأعظم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، وفى الشــرق الأوسط بالتحديد ، وفى صراعاته وأركانه ، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تملكان قوة تأثير ضــخمة على مثار الحوادث ، بفعل اهتمامها الإستراتيجي بالمنطقة عسكرياً واقتصاديا وسياسياً ، ثم بُحكم مساندة كــل واحدة منهما لطرف من أطراف الصراع) ويخلص هيكل من هذه الضوابط فيقول :

(بمنتهى الموضوعية إن وجود دور للولايات المتحدة في أزمة الشرق الأوسط حقيقة واقعة ، سواء أردنــا أم رفضنا ، وإذا كان الأمر كذلك ، فمن الخير أن نريد هذا الدور ولا نرفضه)

٤ ــ وقد يكون الرئيس السادات في إدارته للحرب قد ساير الواقع الذي يراه هو ، عقب إعلانه أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب ، وتعهده بذلك في مواثيق رسمية ، وبذلك فقد سلاحا آخر يمكن أن يساوم به ، فلم تكن حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، في نظره ونظر المحاربين ، بداية لنضال جديد ومستمر ضد إسرائيل ، وإنما هــي وســيلة لتحقيق السلام واستعادة الأرض والتعهد بعدم حرب إسرائيل مرة أخرى ، ولذلك وبعد هــذا التنــازل ، كانــت المفاوضات شاقة أمام أنور السادات لاسترداد الأرض ، واللجوء إلى الولايات المتحدة ودفعها للوساطة أكثر من مرة[١٥] ، لمبادلة الأرض بالسلام ، ووصل الأمر إلى التهديد بانسحابه الفعلي من مفاوضات السلام ، لولا تدخل الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ، ولذلك كان التعهد من الرئيس السادات بأن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب ، فخسر أحد الاستراتيجيات لإدارة الأزمة والصراع (بالرغم من أن ذلك يمثل في فكر الرئيس السادات طريقاً نحو الثقة للطرف الإسرائيلي في إقامة السلام) ، وفى هذا يعلن هيكل (١٦) (إن أي طرف يدعم موقفه التفاوضي ليس فقط بإضافات يزيد بها أرصدته ، ولكن إلى جانب ذلك بعمليات خصم يقلل بها أرصدة الطــرف الآخــر ، وليس يعنيه في بلوغ هذه النتيجة أن يكون الخصم نتيجة لجهوده هو أو نتيجة لسوء تصرف الطــرف الآخــر وتفريطه في أرصدته ، لأن المهم هو النتيجة ، ولقد راقبت إسرائيل بسرور عمليات خصم أو تخفيض طــرأت على الموقف التفاوضي العربي بعد حرب أكتوبر ، وأهمها مايلى :

ــ راقبت إسرائيل حروب العرب الأهلية بالنار وبالكلمات ٠

ــ راقبت إسرائيل تدهور العلاقات العربية العربية ، وكان ذلك حلماً من أحلامها ٠

ــ راقبت إسرائيل انقطاع مورد السلاح السوفيتي عن العرب ، وكان ذلك مطلباً أو أمنية من أعز مطالبها وأمانيها٠

ــ راقبت إسرائيل أزمة المقاومة الفلسطينية ، وقد كان لها أكثر مما كانت تريد ٠

ــ راقبت إسرائيل ظاهرة اختلال التوازن النفسي في عدد من الجبهات العربية ، وهو اختلال ساعدت عليه عوامل كثيرة اجتماعية واجتماعية وثقافية ٠

ــ راقبت إسرائيل طريقة تصرف العرب في أهم أسلحتهم : سلاح البترول ، وسلاح الفوائض العربية ٠

ــ ثم راقبت إسرائيل أخيراً ذلك الإلحاح العربي ، من أجل عقد مؤتمر جنيف والعجلة البادية فيه واللهفة عليه ٠

ثم أدخلت كل ذلك في حسابات موقفها التفاوضي)

٥ ــ وخسر السادات معرفة النتائج الحقيقية لحرب أكتوبر ، فلم يستوعبها ، فمثلا لم يستوعب الحقائق العشر التي كشفتها حرب أكتوبر المجيدة ، ولم تستثمر في إدارة الصراع بعد ذلك (أولى هذه الحقائق أن الأمة العربية مازالت حية تتدفق ، ولاترضى إلا أن تعيش حياة حرة كريمة ، والحقيقة الثانية أن معركة أكتوبر قضت على أسطورة التفوق الإسرائيلي في كل مضمار : أسطورة جيش الدفاع الذي لا يقهر ، وأسطورة الاستخبارات الإسرائيلية التي لا تخطيء ، وأسطورة الدعاية الصهيونية التي لا تقاوم ، وأسطورة الاستراتيجية المتحررة التي لاتُغلب ، وثالث هذه الحقائق هي أن العالم لا يحترم إلا القوى ، ولا يبارك إلا الحق المقرون بالقوة ، ولا تهزه إلا البطولة المضرجة بالدماء ، والحقيقة الرابعة أن المصالح والمصالح المادية على وجه الخصوص هي التي تتحكم مع الأسف برقاب معظم الدول في العالم ، والحقيقة الخامسة أن الشدائد هي خير محك للعلاقات بين الناس ، فالصديق عند الضيق لا في البحبوحة فقط ، والحقيقة السادسة أن الوطن العربي على رحابة صدره وغزارة ثروته واتساع أرجائه ، لا يتسع لتعايش فئتين من البشر عربية وصهيونية ، والحقيقة السابعة أن القضية الفلسطينية أقوى من أن تُصفى بجرة قلم أو باتفاق الكبار أو بصفقة يعقدها الكبار والصغار ، أو بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة يشترك فيها عرب أو غير عرب ، والحقيقة الثامنة أن التغلب على الكيان الصهيوني لايمكن أن يتم إلا بتعاون وثيق وصادق بين كل العرب ، وهذا التعاون لايمكن أن يتحقق ويستمر إلا بقيام شكل من أشكال الاتحاد ، ويجمع بين الدول العربية ، ولهذا ، فلا مناص للعرب إذا أرادوا التخلص من السرطان الإسرائيلي من توحيد أقطارهم وطاقاتهم وثرواتهم ، والحقيقة التاسعة أنه لابد من إدراكنا لأهمية الاعتماد على العلم والتكنولوجيا ووجوب الإفادة من خيرات الحضارة الإنسانية وإنجازاتها ، والحقيقة العاشرة

والأخيرة هي أننا مازلنا على ما يبدو دولاً ساذجة مصابة بضعف مزمن في الذاكرة ، ونتصرف في حقل التعاون الدولي كالمراهق الذي يسمع الكلمة الطيبة فينسى نفسه ويسلم أمره للمقادير أو للغير) (١٧)

كل تلك الحقائق : هل وضعها السادات نصب عينيه وهو يقود إدارة الصراع بعد حرب أكتوبر١٩٧٣م ؟؟ سؤال نطرحه مع المحللين والمُنظرين ، وقد نتفق معهم أو نختلف ، ولكن السؤال مطروح بالفعل عن استفادة الرئيس السادات بالحقائق التي أفرزتها حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، سواء استفادة كاملة أو جزئية .

٦ ــ وخسر السادات في مفاوضاته مع إسرائيل بعده العربي القومي الذي كان سنده الاقتصادي والسياسي في معركته مع إسرائيل ، ولذلك تحدى أنور السادات مبدأ الوحدة العربية ، وعمل على ترسيخ الشعور المحلي الفرعوني في قلوب وعقول المصريين ، وأظهر بوضوح تفسخ العرب وتفككهم ، وتعرض السادات لهجوم عربي عاصف أضعف موقفه في المفاوضات ، مما أدى إلى توقيع منفرد على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية متجاهلا بقية الأراضي ومتجاهلا المشكلة الفلسطينية التي هي لُب الصراع العربي الإسرائيلي[١٨] (بالرغم من اتفاقيات كامب ديفيد التي حددت إطار الحكم الذاتي الفلسطيني جنباً إلى جنب مع الأراضي العربية المحتلة) ، مما أدى إلى عزلة مصرية عن العرب وعزلة عربية عن مصر وانفراد المفاوض الإسرائيلي بالمفاوض المصري ، كما كان له آثاراً سيئة على إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي فيما بعد حرب أكتوبر أو في مسيره السلام المصرية الإسرائيلية ، وزاد انفصال السادات وعزلته عن العالم العربي ، فلم يدرك السادات ، على حد قول أحد المهتمين بشئون الصراع العربي الإسرائيلي ، أن (١٩) (الصراع العربي الإسرائيلي لايمكن تجزئته ، أو بحث أي قضية من قضاياه بمعزل عن مجمل الصراع ، ولكن لكل قضية من قضاياه خصوصيتها ، ومع أن القضية الفلسطينية تبقى جوهر وقلب الصراع العربي الإسرائيلي ، بيد أنها تدور حولها وتتماشى معها وتتشابك بها ، بل وتدخل في صلبها قضايا جديدة ذات أهمية دولية متميزة في الصراع العربي الإسرائيلي ، وزادت مشاكل السادات السياسية الداخلية والاقتصادية الداخلية) ، مما أدى إلى إضعاف الديمقراطية والحرية ، وكذلك أدى إلى التحرشات الجماهيرية في أحداث ١٧ ، ١٨ يناير ١٩٧٧م والمعروفة بمظاهرات وانتفاضة الخبز وانتفاضة الحرامية (كما يقول النظام) ، وكلها ساهمت في زيادة عزلة السادات وإضعاف موقفه في المفاوضات مما جعله يتعجل توقيع اتفاقيات السلام ، وبالتالي كانت نهايته في ١٩٨١م بالاغتيال أثناء الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر التي أدار حربها بنجاح منقطع النظير .

٧ ــ كما أن قرار السادات باختياره الخروج من الساحة العربية ، مما أدى إلى تمزيق الهوية المصرية لدى المصريين ، وتمزيق إحساس المصريين بالذات ، فلقد ظلت رؤية ناصر التي جعلت من مصر زعيمة للوطن العربي بلا منازع ، محتفظة بواقعيتها ، مهما كان احتمال فهمها وإتباعها[٢٠] .

وبرغم محاولة السادات الإبقاء على صوره مصر إفريقياً ودولياً ، بعيداً عن العرب ، إلا أنه حول مركز مصر للاشىء عربيا واقتصاديا وسياسيا (نتيجة للمقاطعة العربية) ، مما أضعف دورها وتأثيرها في المفاوضات ، التي امتدت طويلا وأثرت على إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي ٠

٨ ــ تسببت إدارة الرئيس السادات للصراع العربي الإسرائيلي في انعكاسات ضخمة على الوضع الداخلي والعربي مثل تصاعد الأزمة الاقتصادية في مصر وزيادة درجة عدم الاستقرار الداخلي ، نتيجة المصاعب الاقتصادية وضعف الدعم العربي والتفاعلات الناجمة عن التحول من الحزب الواحد إلى نظام سياسي شبه تعددي(في الساحة الداخلية من المنابر إلى الأحزاب والتي تُعد نقلة ديمقراطية تُحسب للرئيس السادات) ، والانفتاح الاقتصادي وتغيير التوازن داخل مؤسسات النظام في مصر ، وكذلك إعادة توجيه السادات للدور المصري عربيا وإقليميا ودوليا ، كل ذلك أدى إلى التذبذب في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي في حقبة ما بعد فض الاشتباك ، وأدى إلى مزيد من العزلة والتفرد في القرار والبُعد عن أصول اللعبة السليمة ٠

٩ ــ ولقد نتج عن إدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي في آخر مراحله قبل رحيله ، اتفاقيات كامب ديفيد ، وبصدد اتفاقيات كامب ديفيد ، فلقد لاحظت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم ٣٤/٦٥ الصادر في تشرين الثاني ١٩٧٩م أن (اتفاقيات كامب ديفيد عقدت خارج إطار الأمم المتحدة دون اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني ، ولهذا فهي ، أي الأمم المتحدة ، تُقرر بطلانها ، لأنها تتنكر لحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف ، بما فيها حقه في تقرير المصير والاستقلال الوطني والسيادة الوطنية ، وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة) (٢١) ٠

وكذلك كانت لاتفاقيات كامب ديفيد آثاراً أيدلوجية عديدة ، برزت على النحو التالي (٢٢):

ــ فتح الباب أمام مصراعيه للنفوذ الأيدلوجي ، سواء الغربي أو الأمريكي في المنطقة ، وعبر صيغ قانونية ورسمية من حيث الشكل ، وعن طريق الشكل والواقع التدريجي لسياسة ولأسلوب (الخطوة خطوة الكيسنجرية) ٠

ــ أوحت السياسة الأمريكية أن كامب ديفيد سيجلب الرخاء والازدهار إلى المجتمع المصري وهو لم يتحقق ٠

ــ حاولت السياسة الأمريكية خلق خرافة التعايش بين المعتدى والمعتدى عليه ، تحت حجة الموقف العصري والمتحضر ، وهو أسلوب لايمكن أن تقبله الكرامة العربية (في ظل المفاهيم العربية المنتشية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م) ٠

ــ وكذلك أدت إلى تعهد مصر بالعمل على إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفيتية ، في أقصر وقت ممكن ، حسبما تسمح به الإمكانيات ، على ألا يتجاوز ذلك نهاية عام ١٩٧٦م ٠

ــ وكذلك التزام الجانبين بعد استخدام القوة أو التهديد بها ، أو فرض حصار عسكري يقوم بــه طــرف ضــد الطرف الآخر ، وذلك كنص في اتفاقية فصل القوات المصرية الإسرائيلية الثانية (٢٣)٠

ــ وكذلك تعتبر كامب ديفيد مقدمة ، من الناحية الفعلية ، لقبول الثقافة والأيدلوجية الصهيونية بمختلف أبعادها واستراتيجياتها ٠

ــ كما شجعت الاتفاقية ، التي أبعدت مصر كلية عن العالم العربي ، إلى بروز نزاعات ونعرات غريبة داخــل مصر خصوصاً ، وبين الدول العربية وبعضها البعض ٠

ــ كما ربطت الاتفاقية مصر بالكتلة الغربية عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً ، عن طريــق إقامــة تعاون سياسي واقتصادي وعسكري ، بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل (ضد مصالح الأمة العربية) ٠

ورغم أن هذه الآثار هي رؤية أحد الباحثين اليساريين ، إلا أنها رؤية تؤكد ما لاتفاقيات كامب ديفيــد ، ومــا لإدارة السادات للصراع العربي الإسرائيلي ، من آثار بعيدة المدى على هذا الصراع في تطوره وفي اســتمراره ٠٠

١٠ ــ ولذلك ، لم يفهم أحد في المفاوضات أثناء إدارة السادات للصراع بعد حرب أكتوبر مدلولات هذه الحرب ، فيقول هيكل (٢٤):

(أريد أن أقول أننا أسرفنا كثيراً في استخدام أكتوبر واستغلاله ، فيما كان يجب أن نصون أكتوبر منه ، أردنــا تحويل أكتوبر إلى عمله صالحة للتداول في كل سوق ، قادرة على شراء كل شــيء ، حتــى مشــاعر القلــق الاجتماعي ، وهذا خطأ ، فإن زيادة المعروض من أي عملة مهما كانت قيمتها ، يؤدى في النهاية إلى تخفيض قوتها ، ثم أننا أردنا تحويل أكتوبر إلى نوع من الغيبية السياسية ، فما أن يرتفع أي صوت بالتنبيــه ، حتــى تتسابق أصوات إلى إسكاته بزعم القدرة على تكرار نصر أكتوبر)

١١ ــ وعودة إلى إدارة الصراع ، فيؤكد هيكل في لحديث عن أساسيات إدارة جولة أكتوبر وما بعدها (٢٥) (أننا حين نفترض أن تسعة وتسعين في المائة من أوراق حل الأزمة في يد الولايات المتحدة ، فإننا بذلك نظلــم أنفسنا ، فأوراق الحل كلها بيدنا ، وليس من حقنا أن نتركها في يد غيرنا ، لأن غيرنا لن يتحرك ــ إذا تحــرك ــ إلا بمقدار إحساسه بما نستطيع نحن توجيهه إليه من ضغوط)٠٠٠(وموقف الرئيس السادات في واشنطن يقويه ولا يضعفه أن يقول في واشنطن :

ــ إن موقفنا قد أصبح في المنطقة موضع نقد شديد فتحركوا ٠

ــ إن شعبنا نفذ صبره فافهموا ٠

ــ إن هناك عناصر في وطننا تستغل جمودكم فاستيقظوا ٠)

١٢ ــ ثم هناك نقطة أخرى ، فلقد كانت اتفاقيات كامب ديفيد وما تبعها من تمزيق للصف العربي ، وإخــراج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي ، ولجوئها للمعسكر الأمريكي باختيارها ، كلها عوامل مشجعة فــي تنفيذ المخطط الصهيوني لإلحاق لبنان بنهج التسوية الاستسلامية ، ولذلك بدأ الغزو الإســرائيلي للبنــان فــي ١٩٨٢/٦/٤ ٠ واتخذت إسرائيل قرارات استفزازية مازالت تؤثر على سير الصراع العربي الإســرائيلي حتــى اليوم مثل قرارها بضم القدس في يوليو ١٩٨٠م ، وضم الجولان ١٩٨١م ، وغزو لبنان ، ومجــزرة صــابرا وشاتيلا في ١٩٨٢/٩/١٨م ، ومجزرة مخيم عين الحلوة في ١٦مايو ١٩٨٤م (٢٦) ، ونلاحــظ أن انتصــار الإرادة اللبنانية والانسحاب الإسرائيلي الكامل وغير المشروط من الأراضي اللبنانية المحتلة ، والذي تم في ٢٥ مايو ٢٠٠ ، قد نتج عن إدارة لبنان للصراع بطريقة سليمة عن طريق السياسة والدبلوماســية مــن جانــب ، والمقاومة القوية والفعالة من جانب آخر ، مما أجبر إسرائيل على الفرار والانسحاب من جنوب لبنان ٠

١٣ ــ ولم تكن زيارة الرئيس السادات إلى القدس سوى جولة أخرى في إدارته للصراع العربي الإســرائيلي ، فيما بعد حرب أكتوبر ، فمن نتائج زيارة السادات للقدس في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م :

ــ إخراج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي ، وابتعادها عن حركة التحرر الوطني العربية ، وارتماؤها بشكل كامل في أحضان الغرب وأمريكا ، والإذعان لمخططاتها ، وإحداث شرخ في وحــدة الصــف العربــي ، وتصديع شامل ، ولمدة طويلة ، في العلاقات المصرية السورية والمصرية الفلسطينية ٠

ــ وساهمت أيضاً في إعطاء إسرائيل حججاً إضافية للتصلب والتعنت في مواقفها ، وإعطائها ومنحهــا غطــاء على المستوى الدولي يفك من العزلة الخانقة التي كانت تعيشها بالفعل ، كما أعطى ذلك مبررات للدول والقوى التي كانت تقاطعها لاستئناف علاقاتها معها ، وتخفيف الضغط والحصار عنها (٢٧)٠

١٤ ــ وكانت نقطة الضعف الأساسية في التفاوض العربي مع إسرائيل وفى الموقف العربي ، كما يقول أحــد الباحثين(٢٨) (الذي قد نتفق أو نختلف معه ، ولكن لابد من عرض كافة وجهات النظر طالما تدخل في إدارة الرئيس السادات للصراع) ، هو الرئيس السادات ، بما يمثله من وزن مصر من ثقل علــى الســاحة العربيــة والعالمية ، كما كانت البداية تلك الثغرة في فكر السادات ، والتي نفذت إليها إسرائيل وأمريكا ، هــذه الثغــرة المتمثلة برأيه بأن أوراق الحل بيد أمريكا ، وثقته بكيسنجر ، وبدأت الانحدارات في الموقف العربي منذ نكوص السادات عن تنفيذ كامل خطة الحرب ، عندما توقف في تلك الوقفة التعبوية ، فكان القــرار المفاجــأة ، قــرار المفاوضات على مستوى عسكري عال بين مصر وإسرائيل عند الكيلو ١٠١ طريق القاهرة الســويس ، أمــا السبب في أن هذا القرار من جانب السادات كان مفاجأة ، وكان بمثابة الإعلان عن بدء التراجع بالموقف العربي ، هو أن هذا القرار جاء وكانت المعركة لم تنته بعد على جبهة القتال ، ثم أنه جاء دون تنســيق مُســبق مــع سوريا ، الحليفة في هذه الحرب ، كما أنه من حيث الشكل يعنى الدخول في مفاوضات مباشرة مع إســرائيل ، وهذه الأمور لم تكن لها سابقة في الصراع العربي الإسرائيلي ٠

١٥ ــ لم يستطع السادات مجابهة أسلوب كيسنجر في إدارة الصراع عقب الحرب (٢٩) ، فلقد اتبع كيســنجر أسلوبين في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي ، أول هذين الأسلوبين هو أسلوب التعاطف والفهم ، وثانيهما هو أسلوب التهديد والضغط ، ومرَّ كيسنجر بمراحل أربعة في إدارته للصراع هي :

((تهيئة الأطراف وإعدادهم نفسياً لما يريده منهم ، ثم إثارة مخاوفهم ، ثم إثارة آمالهم ، ثم القيام باختراق جبهتهم ، وتحقيق المبادرة الأمريكية (الحل الأمريكي) ٠

ومن ثم كانت أهداف كيسنجر من إدارته للأزمة واضحة جلية وتتمثل فيما يلي :

ــ ضمان أمن ومستقبل إسرائيل ٠

ــ إخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة بإخراج السلاح السوفيتي٠

ــ وإعادة النفوذ الأمريكي وتثبيته في المنطقة ٠

ــ والتعامل مع كل بلد عربي على حده ، وضمان استمرار تدفق البترول العربي بأسعار معقولة ، مــع بقاء فوائض البترول العربية في نطاق الأمان ٠

١٦ ــ وأخيراً نجد أن تحليل موشى ديان لموقف الرئيس السادات التفاوضي عقب حرب أكتوبر فيه الكثير من الرؤى التي تفيدنا هنا ، فهو يرى أن الرئيس السادات يريد اتفاقاً بأي ثمن لعدة أسباب منها :

ــ أنه قلق من الحالة النفسية للجيش المصري ٠

ــ وأنه يتوجس شراً من الاتحاد السوفيتي ٠

ــ وأنه كان يريد أن تكون يداه طليقتان ، وله حرية الحركة والتعامل لمواجهة المتشددين العرب ٠

ــ ويريد أن يرى نفسه وبسرعة في موكب المنتصر وسط جماهير تُهلل له وتصفق ، وخصوصاً فــي مدن القناة ٠

والخلاصة :

أن إدارة الرئيس السادات للصراع العربي الإسرائيلي بدأ وتوهج وفقا للإستراتيجيات الدولية ، ونجح نجاحــا باهراً بفضل ترتيب الجبهة الداخلية واستقرارها والمساندة العربية شبه الكاملة واللعب على التوازنات الدولية ، ثم ساهم بعد ذلك في التفكك العربي وعدم الاستقرار الداخلي والاتجاه نحو التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية مما جعل إدارة الصراع العربي الإسرائيلي تهتز بشدة في يد الرئيس السادات بعد ذلك ، رغم نجاحه في استعادة سيناء كاملة من أيدي العدو الإسرائيلي٠

وكان التغيير الأساسي الذي يبرز أن حجم الاختلاف بين : إدارة عبد الناصر والسادات للصراع ، هو توافــق مصر الجزئي مع سياسة الوفاق ، عن طريق الارتباط الإستراتيجي بأحد القوتين العظمتين ، بما في ذلك من فقدان هامش المناورة السياسية في المجال الدولي ، وكذلك فقدان إقامة علاقات متوازنــة فــي المســتقبل ، وإعلاء شأن الارتباط بالغرب على حساب الارتباط المعنوي بالعالم العربي والعالم الثالث ، وما يرتبط بهما من سياسة عدم الانحياز[٣٠] .

وساند ذلك بصراع مصري عربي ، ووصل الأمر إلى عدم الاكتراث بالتشاور العربي ، وعدم التنسيق المسبق مع رفاق الحرب ، أو عدم الحصول على تأييد عربي للخطوات التي يتم اتخاذها ، مثل زيارة الرئيس السادات للقدس ، وتوقيع اتفاقيات السلام عكس ما حدث في حرب أكتوبر وما سبقها .

فإدارة الصراع في عهد السادات تأرجحت ما بين وجود الحرب واللاحرب ، والمفاوضات والقوة ، والتنســيق العربي واللا تنسيق الذي وصل إلى مرحلة الصدام العربي المصري ، والمفاوضات خطوة بخطوة ، والتوافق مع الولايات المتحدة والغرب والصراع المفتوح مع الاتحاد السوفيتي ، وكانت الفتــرة الانتقاليــة مــن إدارة الصراع في عهد السادات هي عام ١٩٧٤م التي شهدت التغييرات المفاجئة في إدارته للصــراع بعيــدا عــن الإستراتيجيات الثابتة .

هوامش الفصل الرابع :

١. راجع د ٠ناصر الأنصاري – موسوعة حكام مصر – القاهرة – دار الشروق – ١٩٩٤ – ط٥ – صـــ١٣٠

وأيضا راجع ساندرا ماكى – العاطفة والسياسة – مرجع سابق – صـــ ٢١١-٢١٥

٢. دافيد داوينج وجارى هيرمان – حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل – القـــاهرة – سلسـلة كتـب مترجمـة – الهيئـة العامـة للاستعلامات – ٧٤١ بدون تاريخ – صـــ٢٤٧

٣. أمين هويدى – كيسنجر وحرب أكتوبر – مرجع سابق – صـــ٤١

٤. المرجع السابق صـــ٤١ – ويؤكد بيتر مانسفيليد في كتابه العرب أن السادات قد أقدم في صيف ١٩٧٢ على إجراء يـــائس بكل مظاهره لاستعادة شعبيته ، حين أصدر أوامره بانسحاب كافة المستشارين العسكريين السوفيت من مصر ، وكان هذا الإجراء مطلبا شعبيا لأن وجود السوفيت كان مكروها من ضباط الجيش – راجع : بيتر ما نسفيليد – العرب – القاهرة – كتب مترجمـة – هيئة الاستعلامات – ١٩٩٥م – رقم ٨١٨ – صـــ٢٦٥

٥. أمين هويدى – المرجع السابق – صـــ ٤١– وأيضا : ساندرا ماكى – مرجع سابق – صـــ٢١٧-٢١٨

٦. مانسفيليد – مرجع سابق – صـــ ٢٦٥

٧. المرجع السابق صـــ ٢٦٤-٢٦٥

٨. دافيد دوننج – مرجع سابق – صـــ ٢٦٣-٢٦٤

٩. المرجع السابق صـــ ٢٦٥

١٠. أمين هويدى – مرجع سابق – صـــ ٤١

١١. بيتر مانسفيليد – مرجع سابق – صـــ ٢٦٦ – دافيد دوننج – مرجع سابق صـــ ٢٧٢

١٢. أمين هويدى – مرجع سابق صـــ ٤١

١٣. بيتر مانسفيليد – العرب – مرجع سابق – صـــ ٣٦٧

١٤. راجع : محمد حسين هيكل ، الحل والحرب ، مرجع سابق ، ص ص ٢١ ــ ٢٢ ٠

١٥. ساندرا ماكى – العاطفة والسياسة – مرجع سابق صـــ ٢٢٤-٢٢٥

١٦. راجع هيكل ، الحل والحرب ، مرجع سابق ، ص ص ١٨١ ــ ١٨٢٠

١٧. راجع : د٠ محمد المجدوب ، دراسات قومية ودولية ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ســبتمبر ١٩٨١م ، ط١ ، ص ص ١٣١ ــ ١٤٦ ٠

١٨. ساندرا ماكى ، مرجع السابق – ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

١٩. د٠ عبد الحسين شعبان ، القضايا الجديدة فى الصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت ، دار الكتبى للمطبوعات ، ١٩٨٧م ، ط١ ، ص ٨ ٠

٢٠.ساندرا ماكى – المرجع السابق – صـــ ٢٣١ ، ٢٣٢

٢١.د٠ عبد الحسين شعبان ، القضايا الجديدة ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ٠

٢٢.د٠حسن أبو طالب – عروبة مصر بين التاريخ والسياســـة – القـــاهرة – كتـــاب المحروســـة – رقـــم ١٤ – ١٩٩٦م – صـــــ٥٩-٦٠ ٠

٢٣. راجع : د٠ عبد الحسين شعبان ، القضايا الجديدة ، مرجع سابق الذكر ، ص ص ١٢٥ ــ ١٢٨ ٠

٢٤.راجع : هيكل ، الحل والحرب ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ ٠

٢٥.راجع : هيكل ، الحل والحرب ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٩ ــ ٢١١ ٠

٢٦.د٠ عبد الحسين شعبان ، القضايا الجديدة ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ٠

٢٧.راجع الرؤية الكاملة للآثار الأيدلوجية والقانونية لاتفاقيات كامب ديفيد على المنطقة في دراسة : د٠ عبد الحسين شعبان ، الصراع الأيدلوجي في العلاقات الدولية وتأثيره على العالم العربي ،اللاذقية ، دار الحوار للنشر والتوزيـــع ، ١٩٨٥م ط١ ، ص ص ٢٦٢ ــ ٢٦٨ ٠

٢٨.د٠ منير الحمش ، السلام المدان : الشرق الأوسط الجديد من إسرائيل الكبرى إلى إســـرائيل العظمـــى ، دمشـــق ، مكتـــب الدراسات والاستشارات الاقتصادية ، ١٩٩٥م ، ص ص ٨٣ـــــ٨٤ ٠

٢٩.راجع : د٠ منير الحمش ، السلام المدان : الشرق الأوسط الجديد من إسرائيل الكبرى إلى إسرائيل العظمى ، مرجع سابق ، ص ص ٨٩ ـــ ٩٣ ٠

٣٠.د٠ عبد الحسين شعبان ، الصـــــــــراع الأيدلوجي في العلاقـــــــــات الدولية وتأثيره على العالم العربي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٩٧ ـــ ٢٩٩ ٠

الخاتمة

إذا تأملنا الموقف الناصري من إدارة الصراع العربي الإسرائيلي في عـامي ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م ، لرأينـاه يعتمد على مصادر قوة لمصر وللعرب ، فكما أعلن ناصر في فلسفة الثورة أن هذه المصادر[١] :

١. مجموعة الشعوب المتجاورة والمترابطة ومالها من خصائص مادية وحضارية لا يمكن إغفالها فـي بنـاء عالم مستقر يسوده السلام .

٢. الموقع الإستراتيجي العام على طريق العالم .

٣. البترول الذي يعتبر عصب الحضارة المادية .

وكان ذلك نفس موقف السادات الذي أعلنه في ورقة أكتوبر ١٩٧٤م .

وكان ينظر إلى إسرائيل على أنها لم تكن إلا أثراً من آثار الاستعمار ، فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطاني ما كانت إسرائيل قادرة على التواجد كدولة ، بهذه المنطقة بالذات لظروف دينية وقومية وسياسية ، حيث أقامتها الصهيونية كحركة سياسية قومية ماهرة [٢] .

إذا قوة الشعوب العربية كانت وراء إدارة عبد الناصر للصراع العربي الإسـرائيلي بجانـب تلاحـم الشـعب المصري معه .

وكان ناصر يقف دائما أمام كل مشكلة وينظر إلى مصر أولا : يتعاون مع الغرب .. ولكن تبقى مصر بعيـدة عن سيطرته ... يصادق الشرق وتظل صداقته غير مشروطة بالنسبة لمصر ... بعيدا عن كل سيطرة كان يريد دائما أن يقف ببلاده وأمته بعيدا عن كل مناطق النفوذ ... لقد قال لجريدة " ليموند " ذات مرة : إلى هـؤلاء الذين يسألونني أيهما أفضل الولايات المتحدة أو روسيا ... أقول لهم : " أفضل مصر ... فينبغـي أن يكـون الدافع الوحيد لأعمالنا هو مصلحة بلدنا " [٣] .

وكما يقول دويشة ... لقد أثبتت الأيام والتجارب التي مرت بها الأمة العربية أن مكانة الرئيس عبد الناصـر أصبحت لا تنفصل عن مكانة مصر ، ولأنه قائد مصر وزعيمها والمتحدث باسمها ، وكذلك للعالم العربي ، فإنه أصبح حساسا بصورة متزايدة للانتقادات الموجهة إليه وإلى نظامه [٤] .

وهـــكـــــــــــذا ......

فإن عبد الناصر قد استفاد بأخطائه في عام ١٩٦٧م وهى :-

١.أنه لم يقدر التوازنات الدولية ، وأنه اعتقد أن التوازن الدولي السائد هو نفسه الذي كان موجودا في عام ١٩٥٦م ، وهذا خطأ كبيرا ، فإن التوازن الدولي القائم على الحرب الباردة بين القطبين عام ١٩٥٦ ، كـــان كفيلا بالإسراع بتحقيق الانسحاب ، أما في عام ١٩٦٧ وبعد زيادة حدة الصراع بين القوتين ، وخصوصا بعد أحداث كوبا ، لم تكن تصلح للضغط للانسحاب الإسرائيلي ٠

٢.أن عبد الناصر عرف في ١٩٥٦م ، أن سيناء لا تصلح لمعركة كبيرة نظرا لموقعها ، ففضل ، بعد تعـــدد الأسباب ، الانسحاب للدفاع عن مصر من خط القناة المانع ، ووراء التكتل البشرى ، ولم يعرف ذلك إلا بعـــد انتهاء الحرب في ١٩٦٧م وفهمها وطبقها في حرب الاستنزاف ٠

٣.أن وحدة الصف العربي كانت منعدمة في ١٩٦٧م عنها في ١٩٥٦م ، ولذا فإن عبد الناصر عمد إلى تهدئه النفوس وجمع الشمل العربي حوله فيما بعد ١٩٦٧ ٠

والخلاصة أن عبد الناصر بالشعب المصري والقوة العربية وبأخطاء ١٩٦٧ وبالدروس المستفادة من حـــرب ١٩٥٦ قد بدأ حربا قوية وشرسة وهى حرب الاستنزاف ، فكانت الجولة هذه هي الوحيدة التي كادت أن تطيح بإسرائيل من قسوتها وضراوتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الدروس المستفادة من التجارب الســـابقة كانت كفيلة بنجاح ساحق لهذه الجولة في حرب الاستنزاف ٠

وعكس ذلك فكثرت أخطاء السادات بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م حيث زاد في إدارته للصراع العربي الإسرائيلي من الانفرادية والبعد عن العمق العربي ، وضعف لذلك موقفه في إدارته للصراع .... ولذلك أنعزل وضـــعف رغم نجاحه في استرداد سيناء لمصر عن طريق مفاوضات شاقه ...

وهكذا كانت إدارة الصراع العربي الإسرائيلي في جولاته الثلاث الهامة ، والتي شهدت عدة تطبيقـــات مهمـــة لإدارة الصراعات والنزاعات الدولية في عالمنا المعاصر ٠٠٠

الهوامش :

١.جمال عبد الناصر – فلسفة الثورة – هيئة الاستعلامات ١٩٧٢– صـــ ٧٨

٢.جمال عبد الناصر – المرجع السابق – صـــ ٧٢،٧٤

٣.عبد الله أمام – الناصرية – الوطن العربي – بيروت – صـــ ١٣،١٤

٤. **Dawisha , Op Cit. , p. 137**

قائمة بأهم المراجع

أولا : المراجع والكتب الأجنبية :

1. A.L.Dawisha : Egypt in the Arab world, London Macmillan, 1976 .
2. A.Natting: Nasser - 1972.
3. C.Bell : The conventions of crisis : A study in Diplomatic Management - 1971 .
4. J.Bernard: Study of Social conflict, in, S. Hoffman: Contemporary theory in international Relations (Prentice Hall, Inc, Englewood, 1960.
5. James N. Rosenan, International Politics And Foreign Policy , New York , The Free Press of Glencoe , Inc , 1961 .
6. G. Snyder and P. Diesing: Conflict Among Nations: Princeton, Uni. Press, 77.
7. S. Hoffman: Contemporary theory in international Relation, 1960.
8. James L. Richardson, Crisis Management, In , New Issues International Crisis Management , Edited By Gilbert R. Winham , U.S.A , Colorado Mestview Press Boulder & London , 1988 .
9. LIOYD W. SINGER & JAN REBER : A CRISIS MANGEMENT SYSTEM , SECURITY MANGMENT ,N. Y. USA, SEPTEMBER , 1987
10. Steve Chan: Chinese conflict calculus and Behavior: Assessment from A perspective of conflict Management, April 78 .
11. R.Tanter : Modeling and Managing international conflicts , London , Sage Pubicatisns , 1974 .
12. K.R. Leyg & J.F Morrison: Politics and the international system (New York, Harper & Row, 71 .
13. C.Lockhart : Problems in the Management & Resslution of international conflicts (World poli. journal of intern-Relation)(Vol. xxix No 3, Avral 77 .
14. R.Jervis: Perceptions & Misperceptions in international politics (Princeton, Uni. press, 1976.
15. T.Schelling: The Strategy of conflict (Harvard, H. Uni.-Press, 1960 .
16. Jvo , D.Duchacek : Conflict & Co-operation Among Nations (New York, Holt, R.& WINSTON , INC, 1960.

ثانيا : المراجع والبحوث العربية :

١. د٠ ابتهاج مصطفى عبد الرحمن ، الإدارة الاستراتيجية ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م

٢. د٠ أحمد رسلان : نظرية الصراع الدولي (رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة – ١٩٨٢)

٣.د٠ أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي ، الرياض ، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٩٩٠م ٠

٤.إدوارد سعيد و كريستوفر هيتشينز ، إلقاء اللوم على الضحايا ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، ٧٩٥ ،١٩٩١م

٥.كتاب أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي – بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية – ١٩٩١م

٦.إسحاق رابين : مذكرات إسحاق رابين : ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، تحت رقم ٤٠

٧.د٠اسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية (مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧١)

٨.د٠السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية ، القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سلسلة الألف كتاب الثاني ــ رقم ٥٥ ــ ١٩٨٨م ٠

٩.السيد فرج : أكتوبر الحرب والسلام ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ،١٩٨٨م٠

١٠.د٠ أمين عبد الله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤م ٠

١١.أمين هويدى – كيسنجر وحرب أكتوبر – الأهرام – ١٩٩٨/١٢/١)

١٢.أمنون كابيليوك : إسرائيل وانتهاء الخرافة ، القاهرة ، إعداد مركز البحوث والمعلومات ، بدون تاريخ

١٣.بيتر مانسفيليد – العرب – القاهرة – الاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة – ٨١٨ – ٩٥ ٠

١٤.تريفور ن دوبوي ، النصر المُحير ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٦٨، ١٩٨٨م

١٥.ترينود دوموى : النصر المراوغ : عرض سامي الرزاز (الجمهورية القاهرية في ٢٥ أبريل ١٩٨٢)

١٦.جاك دومال ولورى : ناصر : ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات تحت رقم ٦٣٤

١٧.جرج كشمان ، لماذا تنشب الحروب ، ج ٢ ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، رقم ٢٤٣ ، ١٩٩٦م ٠

١٨.جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة (القاهرة ــ طبعة الاستعلامات – ٧٢)

١٩.جون لافين : العقلية الإسرائيلية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٥٠ ، بدون تاريخ ٠

٢٠.د٠حامد عبد الله ربيع : مقدمة في العلوم السلوكية (القاهرة – نهضة الشرق – ٧٤)

٢١.د٠حامد عبد الله ربيع : تأملات في الصراع العربي الإسرائيلي – الدار العربية للنشء – بيروت – ١٩٨٢م ٠

٢٢.حسن أبو طالب : عروبة مصر بين التاريخ والسياسة – القاهرة – كتاب المحروسة – ١٤ – ١٩٩٦م)

٢٣.حمدي لطفي ، العسكرية المصرية فوق سيناء ، القاهرة ، كتاب الهلال ،العدد ٣١٠ أكتوبر ١٩٧٦م

٢٤.خطابات الزعيم الراحل جمال عبد الناصر – طبعة الاستعلامات

٢٥.خطب أنور السادات (طبعة الاستعلامات) ٠

٢٦.دافييد داوينج وجارى هيرمان – حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل – القاهرة – هيئة الاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة – ٧٤١ ٠

٢٧.روبرت سان جون : الرئيس : ترجمة إدارة الثقافة السياسية بهيئة الاستعلامات تحت رقم ١٦،١٩،١٨،١٧ ٠

٢٨.روبرت و٠ تاكر وآخرون ، هل لا يزال السلام ممكناً في الشرق الأوسط ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، كتب مترجمة العدد ٧٣٣، بدون تاريخ ٠

٢٩.لواء دكتور زكريا حسين أحمد ، السياسة العسكرية المصرية في التسعينات ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٢م ، ط٢

٣٠.ساندرا ماكى – العاطفة والسياسة – القاهرة – الاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة – ٨٢٥ – ١٩٩٦ ٠

٣١.ستيفن جرين ، التحيز ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٧١ ،بدون تاريخ ٠

٣٢.سهير الكرداوي ورجاء شريف ، سيناء بين الحرب والسلام ، القاهرة مركز النيل للإعلام ، سلسلة دراسات قومية ، العدد السادس عشر ، بدون تاريخ ٠

٣٣.شارل سان برو ، الخفايا السورية ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٧٣ ،،بدون تاريخ ٠

٣٤.طه المجدوب ، حرب أكتوبر طريق السلام ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، ١٩٩٢م

٣٥.طه المجدوب ، حرب أكتوبر وحصاد السلام ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٣م ٠

٣٦.عاموس بيرلماتر وميشيل هاندل ويوري بارجوزيف ، دقيقتان فوق بغداد ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد ٧٦٢ ، بدون تاريخ

٣٧.د٠ عباس رشدي العماري ، إدارة الأزمات في عالم متغير ، الأهرام ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٣م ٠

٣٨.د٠ عبد الحسين شعبان ، القضايا الجديدة في الصراع العربي الإسرائيلي ، بيروت ، دار الكتبى للمطبوعات ، ١٩٨٧م ، ط١

٣٩.٠د٠ عبد الحسين شعبان ، الصراع الأيدلوجي في العلاقات الدولية وتأثيره على العالم العربي ،اللاذقية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ط١ ٠

٤٠.د٠ عبد الخالق عبد الله ، العالم المعاصر والصراعات الدولية ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم ١٣٣ ، يناير ١٩٨٩م ٠

٤١.د٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، بدون تـــاريخ ٠

٤٢.عبد المنعم شميس ، دقت أجراس السلام ، القاهرة ، مركز النيل للإعلام ، سلسلة كتب سياســية ، العــدد الأول ، بــدون تاريخ

٤٣.د٠ عبد الوهاب المسيري ، الأيدلوجية الصهيونية ، دراسة في علم اجتماع المعرفة ، القسم الثاني ، الكويــت ، سلســلة عالم المعرفة ، العدد ٦١ ، يناير ١٩٨٣م

٤٤.د٠ عبد الوهاب المسيري ، أرض الميعاد : دراسة نقدية للصهيونية السياسية ، القاهرة ، الهيئة العامــة للاســتعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، العدد٧٤٢ ، ١٩٨٠م

٤٥.عبد الله إمام : الناصرية (الوطن العربي – بيروت – بدون)

٤٦.عبد الله إمام : تأملات في الناصرية (القاهرة – الأنجلو – ٧١)

٤٧.عبده مباشر ، من أوراق مراسل حربي في أكتوبر ، القاهرة ، مركز النيل للإعلام ، سلسلة دراسات قومية ، العدد ١١ ، ١٩٨٠م ٠

٤٨.د٠ عدنان السيد حسين ، العلاقات الدولية ، الحرب والسلم مفاهيم أساسية ، بيروت ، مركــز الدراســات الاســتراتيجية والبحوث والتوثيق ، ١٩٩٤م ، ط١

٤٩.د٠ عطية حسين أفندي عطية ، مجلس الأمن وأزمة الشرق الأوسط ، تقديم د٠ عز الــدين فــوده ، القــاهرة ، الهيئــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م

٥٠.د٠ على إبراهيم عبده ، سيناء في مصر الحديثة ، ضمن كتاب : مصر سيناء ، القــاهرة ، المجلــس الأعلــى للشــباب والرياضة ، ١٩٨٣م ٠

٥١.د٠ عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٦ ، الطبعة الثانية ، يونيو ١٩٨٥م

٥٢.الجنرال : ج٠ف٠س٠فوللر : إدارة الحرب – ترجمة أكرم ديري (بيروت – دار اليقظة العربية – ١٩٧١)

٥٣.لواء دكتور فاروق هلال ، دور المعلومات في عملية صنع القرار السياسي ، القاهرة ، أكاديمية ناصر العسكرية العليــا ، ١٩٨٧م ، رسالة دكتوراه ٠

٥٤.فتحي رزق : رباعية سيناء ، القاهرة ، المؤلف ، ١٩٨٤م

٥٥.، فتحي رزق ، جسر على قناة السويس ، القاهرة ، المؤلف ، ١٩٨٦م

٥٦.كارستين هولبرايد – الدول العظمى والصراع الدولي – القاهرة – هيئة الاستعلامات – سلسلة كتب مترجمــة – ٧٤٤- ١٩٨١ ٠

٥٧.كارل دويتش ، تحليل العلاقات الدولية ، ترجمة شعبان محمد شعبان ، مراجعة وتقديم عز الدين فوده ، القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ٠

٥٨.محسن الخضري ، إدارة الأزمات : منهج اقتصادي وإداري متكامل ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٠م

٥٩.محمد إبراهيم الشاعر ، نظرية الاحتمالات في السياسة والحرب ، دمشق ، منشورات الطلائع ، سلسلة الثقافة الطلائعيـــة رقم ٤ ، ١٩٧٤م

٦٠.محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم (بيروت – دار النهار – ٧٢)

٦١.محمد حسين هيكل ، الحل والحرب ، لبنان ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ١٩٧٧م ، ط١ ، ص١٢٥

٦٢.د٠ محمد المجدوب ، دراسات قومية ودولية ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، سبتمبر ١٩٨١م ، ط١ ٠

٦٣.محمد فيصل عبد المنعم ، عندما سقطت السماء فوق إسرائيل ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧٥

٦٤.محمد نصر مهنا ، علوم السياسة : دراسة فى الأصول والنظريات ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٨م ، ط١ ،

٦٥.محمد صدام جبر ، إدارة الأزمات : دراسة مقارنة ، النموذج الإسلامي والنموذج الياباني ، مسقط ، مجلة الإداري ، معهد الإدارة العامة ، السنة ٢١ العدد٧٦ ، مارس ١٩٩٩م٠

٦٦.محمد على علوبة ، فلسطين والضمير الإنساني ، القاهرة ، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٥٦ ، ١٩٦٤م ٠

٦٧.د٠ محمود إسماعيل ، الصراع الدولي ، محاضرات غير منشورة بكلية الاقتصاد والعلوم السياســية جامعــة القــاهرة ، ١٩٨١م ٠

٦٨.محمود المصري ، مائة نتيجة لحرب السادس من أكتوبر ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة دراسات قومية ، العدد الرابع ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م

٦٩.مرمرجي الدومسكي ، بلدانية فلسطين العربية ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ١٩٩٧م ٠

٧٠.ميرون بنفينيستي ، السياسات الإسرائيلية في الضفة الغربية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، رقم ٧٧٨م ، نوفمبر ١٩٨٥م

٧١.الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣م ، القاهرة ــ ٢٧إلى٣١ أكتوبر ١٩٧٥م ، القاهرة ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٧٦م ، المجلد الأول والمجلد الثاني ٠

٧٢.د٠ منير الحمش ، السلام المدان : الشرق الأوسط الجديد من إسرائيل الكبرى إلى إسرائيل العظمـــى ، دمشـــق ، مكتـــب الدراسات والاستشارات الاقتصادية ، ١٩٩٥م

٧٣.موشى ديان : مذكراتي : ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات

٧٤.د٠ناصر الأنصار – موسوعة حكام مصر – القاهرة – دار الشروق – ٩٤ – ط٥

٧٥.يوسف ميخائيل يوسف : الصراع الصيني الأمريكي في جنوب شرق آسيا (دكتوراه غير منشورة بكلية الاقتصاد والعلــوم السياسية – جامعة القاهرة – ١٩٨٢)

٧٦.يوهان جالتونج : أزمة الشرق الأوسط ونظرية الصراع : عرض أحمد يوسف (السياسة الدولية عدد أكتوبر ٧٢)٠